شخصيات وأعلام

بدر الحسن القاسمي

(نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي الهند)

مؤسسة إيفا للطبع والنشر – نيودلهي

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٥هـ ـــــــ ٢٠١٤م

مؤسسة إيفا للطبع والنشر

١٦١-ايف، بيسمنت، ص. ب.: ٩٧٠٨

جامعة نغر، نيو دلهي-١١٠٠٢٥

هاتف: (٠٠٩١-١١-٢٦٩٨١٣٢٧)

الموقع: www.ifapublications.com

البريد الإلكتروني: ifapublication@gmail.com

شخصيات وأعلام

الأعمال التجديدية
للإمام الرباني مجدد الألف الثاني
أحمد بن عبد الأحد السرهندي

كانت الهند قد بلغت أوج تقدمها في عصر الإمبراطورية المغولية التي استمرت نحو ثلاثة قرون ابتداء من ١٥٢٦م إلى ١٨٥٧م و كان ظهير الدين بابر المغولي من سلالة تيمور لنك هو المؤسس للإمبراطورية المغولية في الهند و بعد استيلاء الإنكليز على الحكم و نفى بهادر شاه ظفر آخر الأباطرة المغول إلى رنغون في عام ١٥٥٧م أصبحت الهند تحت سيطرة الاستعمار البريطاني إلى أن استقلت في ١٩٤٧م بعد نحو مائة عام وانتهى عصر الاحتلال مع تقسيم الهند إلى دولتين: الهندُ و باكستان.

و إن معظم المعالم التاريخية الرائعة ترجع إلى عصر الإمبراطورية المغولية حيث كان عصر جهانكير و شاهجهان و عالمكير عصرا مزدهرا حضاريا و مازالت القلعة الحمراء في دلهيُ و تاج محل في آكرهُ والمساجد الفخمة في دلهي و لاهور وغيرهما

من الأماكن تذكر مدى تطور الإمبراطورية المغولية.

لقد كان حفيد مؤسس الإمبراطورية المغولية جلال الـــدين محمد أكبر الذي حكم الهند نحو نصف قرن من أقوى و أغـــرب الأباطرة يحبه الهندوس و يكرهه المسلمون، تولّى العرش وهـــو في الثانية عشرة من عمره و ظل تحت وصاية صديق والده بيرم خان إلى أن أصبح في الثامنة عشرة من عمره قادرا على قيـــادة الـــبلاد بمقدرة و كفاءة.

و بسبب فقد والده همايون السلطة و اضطراره إلى الهروب إلى إيران ثم عودته إلى سدة الحكم بمساعدة طهماسب الصـــفوي أصبح البلاط الملكي مرتعا خصبا للشيعة حتى أن بيرم خان أيضـــا كان من طائفة الشيعة.

لقد شغف الإمبراطور جلال الدين أكبر بالمناظرات الدينية و جمع العلماء من المذاهب والفرق المختلفة على عدم تمكنه من العلم والمناقشة معهم في القضايا الدقيقة والشائكة.

و قد ارتبط بعض ضعاف النفوس من علماء السوء بالبلاط و أصبحوا من حاشيته مما جعله ينحرف تـــدريجيا عـــن العقيـــدة الصحيحة حتى وصل إلى درجة الإلحاد والخلـــط بـــين العقائـــد الصحيحة والباطلة.

كما أن رغبته في إحكام السيطرة على زمام الحكم و إرضاء الأغلبية الهندوسية من سكان الهند ليبقى الحكم مستقرا ولا تحدث حركات التمرد في الولايات المختلفة أيضا كانت وراء انحرافه و خروجه على الإسلام.

تزوج مجموعة من النساء الهندوكيات من العائلات المعروفة، و عين عديداً من الهندوس على المناصب الرفيعة حتى بلغ الأمر إلى اختراع دين جديد سماه "الدين الإلهي" و ذلك بدمج بعض مبادئ إسلامية مع أساطير الديانة الهندوكية فأصبح ابتلاء للمسلمين وكان الإمبراطور محاطا بمجموعة من علماء السوء من ناحية و عدد كبير من المستشارين الهندوس و أهل الديانات الأخرى من ناحية ثانية.

أمر الناس بالاحتفال بعيد النيروز و تزيين الشوارع والبيوت في أيام النيروز و أعلن دينه الجديد.

أما "الدين الإلهي" الذي اخترعه فكان مزيجا من مبادئ الإسلام والديانات البرهمية والمسيحية، و كان من أسس هذا الدين الجديد تقديس الشمس والنار و إباحة زواج الأرامل، و تحريم عادة حرق المرأة نفسها في حالة الطلاق أو موت الزوج، و تحريم ذبح البقر، و تحليل أكل لحم الخنزير، و محاربة تدريس اللغة العربية، و

منع الأذان في المساجد، وإلغاء أسماء إسلامية مثل محمد وأحمد ومحمود، واعتبار الإمبراطور سيد البشر وتمجيده مطلقا، وتحية الناس بعضهم ببعض بكلمة "الله اكبر"، والرد بكلمة "جلّ جلاله" تلميحا باسمه جلال الدين محمد أكبر، و إلغاء التقويم الهجري و تبديله بالتقويم الإلهي يبدأ من تاريخ تولية الإمبراطور كما أنه جعل شعار أتباعه "الله أكبر" إشارة إلى أن "أكبر" هو الله"(١) والعياذ بالله.

عاش الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي (٩٧١هـ ١٠٣٤هـ -١٥٦٣م ١٦٢٤م) معاصرا للإمبراطور المغولي محمد جلال الدين أكبر ١٥٥٦-١٦٠٥ ثم لإبنه الإمبراطور جهانكير ١٦٠٥م -١٦٢٨م.

و باعتباره إماما نابغا و عالما كبيرا و شيخا غيورا على الدين من الطبيعي أن يتصدى لمحاربة التلاعب والعبث بمبادئ الإسلام، ومكافحة ظاهرة الانحراف والإلحاد المفروض من قبل الإمبراطور، ويقف لإنقاذ الناس من براثن "الدين الإلهي" الجديد الذي اخترعه الإمبراطور أكبر.

فقد قام الإمام المجدد الشيخ أحمد السرهندي بجهوده الإصلاحية في مثل هذا الوضع المخيف للإسلام والمسلمين الذي

(١) كتاب مهاجن ص: ١٠٧.

كان يعلن فيه الكفر جهارا نهارا' و تنتهك حرمات الدين على الملأ' و يعيش المسلمون في حالة الغضب مع الخوف من بطش السلطان' و يعيش أعداء الإسلام والمسلمين في فرح و سرور مستهزئين بشعائر الإسلام و ضاحكين على وضع المسلمين.

و قد قيضه الله سبحانه للوقوف في وجه هذا الطغيان و صد هذا التيار الإلحادي الجارف ولأداء هذا الدور التاريخي التجديدي الكبير و إن نجاحه في تغيير الوضع و إدخال الإيمان في نفوس رجال البلاط و أفراد الأسرة المالكة هو الذي جعله مستحقا لأن يعرف بلقب "المجدد للألف الثاني" من الهجرة النبوية الشريفة.

و إذا أردنا أن نحدد الأعمال التجديدية للإمام السرهندي فهي تتلخص فيما يلي:

١- إعادة إيمان الناس – بتوفيق من الله سبحانه – بالدين الإسلامي الحنيف والثقة بمبادئه العظيمة والقضاء على فتنة "الدين الإلهي" ببذل كافة ما يملك من طاقة و نجاحه في تغيير مسار الإمبراطورية المغولية من الكفر والإلحاد إلى حماية العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي الحنيف من خلال توجيه الرسائل المؤثرة إلى مجموعة من الأمراء و رجال البلاط لإنقاذ الإمبراطور و أعوانه من الضلال و

دحض كافة الشبهات حـــول الإســـلام' و أحكامـــه' و معتقداته'.حتى عاد للدين رونقه و بهاءه و عاد المســـلمون إلى ممارسة عبادتهم بحرّية تامة.

٢- و من أعمال الإمام السرهندي التجديدية قيامه برد البدع و تنقية الإسلام من الشوائب التي علق به بسبب انتشـــار التصوف المنحرف بين عامة الناس و جماهيرهم و وقـــوع كثير من الناس في أوحال الشرك والقول بالحلول والاتحاد' والخروج على التكاليف الشرعية في العبادات والمعـــاملات بحجه التأويل الفاسد لفكرة "وحدة الوجود" أو ما يسمى "بالتوحيد الوجودي"

فقد خالف الإمام السرهندي فكرة "وحدة الوجود" بمعناهـــا السائد بين المتصوفة المغالين و عرض فكرة "وحدة الشهود".

و من كلماته الرائعة حينما اســـتند بعـــض أهـــل الضـــلال "بالفتوحات المكية" و "فصوص الحكم" لإبن عربي الصـــوفي الحاتمي الطائي قوله:

بعد "الفتوحات المدينة" (سنة الرسول صلى الله عليه وســـلم) لسنا في حاجة إلى "الفتوحات المكية" و بإزاء صريح الأدلة من "النصوص" لسنا في حاجة إلى "الفصوص" فلله در هذا الإمام

في فقهه و بصيرته ثم في شجاعته و قوة جنانه.

٣- و من الأعمال التجديدية للإمام السرهندي أيضا رده على الرافضة المتغلغين في البلاط الإمبراطوري و تقليل قوتهم و نقوذهم في الحكم فقد ألّف عديدا من الرسائل في الرد على معتقداتهم.

٤- و من أعماله العظيمة التي تجلت فيها روح التجديد نقده "للعقل" و تقليله من أهمية العلوم الفلسفية في المسائل الغيبية.

وقد سبق رحمه الله في ذلك الفيلسوف الألماني الشهير كانت (Cant) و يبدو كأن "كانت" استفاد منه و بني على كلام الإمام فكرته التي نسبت إليه.

٥- ولا ينسى دوره التجديدي في تنقية التصوف من ناحية و وضع منهج شرعي لتصفية القلوب و تزكية النفوس من ناحية أخرى.

كان قد جمع الإمبراطور "أكبر" في بلاطه إلى جانب العلماء من كل الديانات "الصوفية" من الهند و إيران و بلاد ما وراء النهر و فتح "دار العقيدة" التي شيدها ليفد إليها الزرادشتيون والبوذيون والمسيحيون في سنة ١٥٧٥م، واستمع إلى معتقداتهم و آرائهم و

جمع خلاصة ما سمع في دينه الجديد فأخذ الهندوس من دين أكبر ما يناسبهم، و يحقق أغراضهم في المساواة بالمسلمين في الحقوق والواجبات و رفضوا الكثير من المبادئ التي تتضمن عقيدته.(١)

و في سنة ١٥٨٢م حينما قرر فرض "الدين الإلهي" على الناس لتوحيد عقيدتهم عقد مجلسا لكبار العلماء من مختلف الديانات و من كبار رجال الدولة و ألقى فيهم خطابا جاء فيه:

"إنه لمن الخطأ الجسيم والشر المستطير، أن يحكم رجل واحد، دولة كبيرة ينقسم الناس فيها على بعضهم في الدين والعقيدة و من ثم نشأت في البلاد أحزاب، كل حزب له عقيدته الدينية لذلك يجب أن ندمج كل هذه العقائد في دين واحد بحيث تتمثل كلها في هذا الواحد الذي يضم محاسن كل دين و تستفيد في نفس الوقت من محاسن الديانات الأخرى، و بهذا وحده يعبد الله، كما يعطي الفرصة لتعميم السلام في ربوع الإمبراطورية و تنعدم الصراعات المريرة بين فئات الشعب المختلفة حول العقيدة، و يعم الرفاه والازدهار والأمن

---

(١) راجع Parshad ٣٨٠ .

والأمان"([1]).

وافق المجلس على الدين الذي اخترعه أكبر و أصدر مرسوما يعلن نفسه رئيسا دينيا و هذه العقيدة جمعت عناصر من ديانات مختلفة تتمشى مع عقيدة أكبر و اتجاهاته.([2])

والذي يدل على خطورة ما قام به الإمبراطور أكبر في تذويب كيان المسلمين و إخراجهم من ربقة الإسلام و تمييعهم عقيديا و فكريا و ثقافيا و دمجهم في التيار الهندوسي الجارف استئناس رئيس الوزراء الهند الأسبق/ جواهر لال نهرو بخطوة الإمبراطور أكبر و ذكره تحت عنوان: **"أكبر" عملية تهنيد** يقول في كتابه: **"من السجن إلى الرئاسة"**:

إن "أكبر" حفيد "بابر" هو واحد من أعظم الرجال في التاريخ كان قائدا عسكريا جريئا و مقتدرا.....

و في شخص "أكبر" تمثل من جديد الحلم القديم بهند موحدة، موحدة لا سياسيا فحسب في دولة واحدة و لكن عضويا أيضا في شعب واحد منصهر في بوتقة واحدة.

و طوال حكمه الطويل الذي امتد حوالي خمسين سنة من

---

(١) // //

(٢) بلاد الهند الإسلامي ص: ٢٠٠.

عام ١٥٥٦ فما بعدها عمل "أكبر" من أجل هذا الهـــدف، لقـــد استطاع أن يكسب إلى جانبه كثيرا مـــن الزعمـــاء الراجبـــوت Rajput الذين ما كانوا ليخضعوا لأي شخص آخر.

و لقد تزوج من أميرة راجبوتية و هكذا كان ابنه و خليفته "جهانكير" نصف مغولي و نصف هندوسي و كان "شـــاهجهان" ابن "جهانكير" ذا أم راجبوتية أيضا.

و يضيف نهرو:

و أصبح بلاط "أكبر" ملتقى الرجال من جميـــع المـــذاهب والأديان و ملتقى جميع أولئك الذين كانت لديهم فكرة جديدة أو ابتكار جديد.

و لقد بلغ تسامحه و تشجيعه لجميع ضـــروب المعتقـــدات والآراء حدا أثار عليه غضب بعض المسلمين المتزمتين بل لقد ذهب أكبر" إلى أبعد من هذا فحاول أن يضع دينا تأليفيا مشتركا يلائم الهنود جميعا....

و في عهد حكمه بالذات قدر للإندغام الثقافي بين الهندوس والمسلمين في الهند الشمالية أن يخطو خطوة واسعة إلى الإمام.

و لقد كان "أكبر" نفسه شعبيا عند الهندوس – مـــن دون ريب – بقدر ما كان شعبيا عند المسلمين و هكذا استقرت دعائم

السلالة المغولية الحاكمة في الهند، و كأنها سلالة هندية أصيله.([1])

و من هنا يتجلّى دور الإمام المجدد الشيخ أحمد السرهندي في إعادة سدة الحكم في الهند من الكفر إلى الإسلام من جديد و إنقاذ المسلمين من الذوبان في التيار الهندوسي الجارف والمحافظة على دينهم و عقيدتهم.

ففي ظاهر الأسباب لولا جهود الإمام المجدد – بفضل الله و توفيقه – لحماية المسلمين والذود عن حمي الدين و إفشال خطة الإمبراطور "أكبر" و أعوانه للقضاء على الإسلام لكان حالة المسلمين شبيها أو أسوأ مما يشاهد في الأندلس والبلاد الأخرى التي انقرض منها المسلمون نهائيا وانتهى فيها من يعبد الله وحده.

إن الشيخ المجدد السرهندي أبدى نشاطه في أواخر عهد الإمبراطور أكبر لمكافحة آراءه الإلحادية و مناهضة "الدين الإلهي" و دعا الناس إلى العودة إلى الإسلام الصحيح' و أرسل الكتب إلى القادة' والعلماء' و رجال الدولة' والأمراء و عامة الناس، و لما بدأ عهد "جهانكير" و اطلع على نشاط الشيخ و تأثيره في الشعب فأمر يسجنه لكن الشيخ رحمه الله حوّل السجن إلى دار الإصلاح فهدى الله المسجونين من اللصوص و قطاع الطرق والقتلة فتابوا

(١) من السجن إلى الرئاسة ص: ١٥٦– ١٥٨.

على يده و أصبحوا هداة مهديين.

و بعد التأكد من جهود الشيخ الإصلاحية و حب الجماهير له أطلق سراحه و دعاه إلى القصر و بالغ في إكرامه.

و بدأت دعوة الشيخ تؤثر في الناس وازدادت شعبيته واستأنس جهانكير بدعوة الشيخ التجديدية فأمر الناس بترك "الدين الإلهي" و أصدر مرسوما بإباحة ذبح البقر' و أكل لحوم الحيوانات' و تحريم السجود للإمبراطور' و أعاد بناء مساجد كان قد دمرها والده الإمبراطور إرضاء للهندوس و عادت المساجد إلى رسالتها ترفع فيها الأذان و تقام الصلوات الخمس' و تقرأ القرآن كما أعاد العمل بأحكام الشريعة الإسلامية' واستبدل القضاة فعين من أهل السنة بدل الشيعة و سعد المسلمون بالعودة إلى الإسلام الصحيح و خذلان الكفر والإلحاد.

و هكذا نجحت جهود الشيخ المجدد في دحر الكفر و استعادة مجد الإسلام، فرحمه الله رحمة واسعة.

نقد العقل والكشف:

إن العقل نعمة عظيمة وجوهرة نفيسة، وفيه سر تكليف الإنسان؛ لكنه غير كاف لإرشاد الإنسان إلى مصالحه في الدارين

وكتاب "نقد العقل الخالص" (Critique Of Pure Reason) للفيلسوف الألماني عما نويل كانت (Emanuel Kant) الذي نشـــره عـــام ١٧٨١م أكبر دليل على ذلك، وكان الكتاب قد أحدث ضـــجة كـــبيرة في الأوساط العلمية وهزّة واضطراباً في الأوساط الفكرية والفلسفية، وقيل عنه: إن هذا الكتاب قطعة حية خالدة تدل على عظمـــة الفلســـفة وكمالها، أضاءت معالم الطريق في متاهات الفكر الإنساني وحيرته.([1])

و يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل، فالداعي إلى محض التقليد مـــع عـــزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والســـنة مغرور، فإياك أن تكون من الفريقين، وكن جامعاً بين الأصلين".

فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدويـــة، والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء، فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة، وهي وظائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب، فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجـــات العبـــادة الشرعية واكتفي بالعلوم العقلية استضر بها ؛ كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشـــرعية،

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ٣٨/٢.

وأن الجمع بينهما غير ممكن ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه.([1])

ويقول العلامة ابن خلدون: إن الشارع أحرص على سعادتك... فلا تطمع أن تزن بالعقل أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية و كل ما وراء طورة فان ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأي الميزان التي يوزن به الذهب فيطمع أن يزن به الجبال.([2])

كما يقول الشيخ الإمام أحمد السرهندي رحمه الله في رسائله: "إن العقل لا تزال علاقته بالجسم العنصري ، ولا يجد إلى التجرد الكامل أو التحرر المطلق سبيلاً ، فإن القوة الوهمية تمسك بزمامه، والقوة المتخيلة تأخذ بلجامه، وقوة الغضب والشهوة كالظل المرافق له، وخصال الحرص والطمع الذميمة لصيقة به، وإن السهو والنسيان من لوازم الإنسان، والخطأ والغلط من خصائص البشر، ولا يزولان عن العقل، فليس العقل إذا جديراً بالثقة والاعتماد، وليس أحكامه ونتائجه متحررة من قيود الوهم، والتصرف والخيال، وليست مصونة من اختلاط السهو

(١) العقل والنقل ١١٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٤٥٧.

والنسيان... لذا تبقى العلوم المحصلة من تصرفات العقل وحده موضع شك فلا يمكن الثقة بها والركون إليها".(١)

"و الوحي الإلهي" صمام الأمان بالنسبة للإنسان لوضع الحد على الشخصانية والمطامع الذاتية".

فإن العقل الإنساني إذا لم يكن خاضعاً لوحي سماوي ويكون تابعاً للهوى؛ فيورد الإنسان في المهالك يبرر له كل تصرف سيء ويزين له كل الجرائم والمعاصي.

فلا يشك أحد يحمل قلباً راشداً وعقلاً واعياً في أن حادث إلقاء القنبلة الذرية على المدنيين اليابانيين تشكل جريمة حصدت أرواح مئات الألوف من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء، وقد استنكر الجميع هذا الواقع؛ لكن محرر دائرة المعارف البريطانية يبرر هذه العملية ويقول: إن هذا الحادث أنقذ حياة أكثر من عشرة ملايين من الناس الذين كانوا سوف يقتلون في حالة استمرار الحرب الدائرة بين الفرقاء.

هكذا العقل يبدع في تحويل الجرائم إلى البطولات، والمنكرات إلى المسلّمات، فقبل مئات السنين دعا أحد زعماء القرامطة المدعو/ عبيد الله بن حسن القيرواني أتباعه إلى الزواج مع

---

(١) الرسالة رقم ٢٦٦.

البنات والأخوات؛ معللاً أنه من غير المعقول أن يقـــدم الإنســـان أختاً جميلة إلى رجل أجنبي ويأتي في بيته بامرأة أجنبية أقل جمـــالاً منها، فإذا كانت الأخت بإمكانها أن تسعد أخاها في تقديم الطعام والشراب، فلم لا تصلح أن تكون زوجاً له!؟

فقد حث الناس على الزواج مع المحرمات الأبدية ، وقـــدم لها تبريراً عقلياً مع أن الأمر مستكره طبعاً يرفضه الإنسان بفطرته.

ومن المعلوم للجميع أن البرلمان البريطاني أقر القانون الخاص بالشذوذ الجنسي وبزواج الرجل بالرجل مع التصفيق من الـــوزراء والنواب، كما يوجد في الغرب نوادي ومنظمـــات تـــدافع عـــن الشذوذ الجنسي.

وكثير من الوزراء والنواب، يتفاخرون بارتكـــابهم هـــذه الرذيلة مع أن جميعهم يحملون العقول، وبعض منهم مبـــدعون في مجال اختصاصاتهم العلمية والفنية.

إذاً لابد من قانون سماوي يرشد العقول وتهدى وتهـــذب النفوس ويفك عقول الناس من أسر المطامع والشهوات.

فالمرجع المأمون هو "الوحي" وليس العقل أو "الكشف".

فقد فند الإمام السرهندي آراء المتصوفة الذين جعلوا كشوفهم أساسا للخروج من كثير من أحكام الشريعة الغراء و أكد أن

"الكشف" أيضا تعتريه الأوهام والوساوس و تقع فيه الأخطاء لذا لا يمكن أن يجعل ميزانا بل الميزان هو الوحي، والشريعة هي الأساس.

ينتمي الإمام السرهندي نسباً إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإحدى وعشرين واسطة، و أن والده الشيخ عبد الأحد السرهندي كان من كبار العلماء الربانيين.

ولد الإمام السرهندي في ١٤/ شوال من عام ٩٧١هـ الموافق ١٥٦٣م بمدينة سرهند، حفظ القرآن، و تعلم معظم الكتب عند والده واستفاد من الشيخ كمال الكشميري كما درس بعض كتب الحديث على الشيخ يعقوب الصرفي الكشميري تلميذ العلامة ابن حجر الهيتمي المكي.

اشتغل فترة بالتدريس، كما ألّف بعض الرسائل في الرد على الأفكار والمعتقدات الباطلة و بايع الشيخ الكبير عبد الباقي البدخشي النقشبندي، كما التقي في دلهي بالشيخ عبد الباقي المعروف بخواجه باقي بالله النقشبندي و لزمه، و أصبح مرجعا و إماما في العلم الظاهري والتربية والسلوك حتى شهد له شيخه بأنه: "شمس تأفل في ضوئها آلاف النجوم من أمثالي".(١)

(١) زبدة المقامات ١٤٥.

قام بزيارة الحرمين الشريفين في عـــام ١٠٠٨هـــــ و أدى مناسك الحج، وازداد الناس إقبالا عليه من كل حدب و صـــوب من داخل الهند و خارجها وانتشر اتباعه في أفغانستان و تركستان و سمرقند و بلاد الروم.

قام بحركة تجديدية إصلاحية في مجالات عديـــدة في وقـــت كانت شبه القارة الهندية تعاني من أزمات عقدية و فكريـــة، و أن التحديات التي كان يواجهها المسلمون في عصر الإمام السرهندي تتلخص فيما يلي:

١- ارتداد الملك المغولي المسلم جلال الدين أكبر عن دينـــه و محاولته فرض دين جديد والقضاء على الإسلام و تســـخير علماء السوء و أجهزة الدولة المختلفة لهذا الغرض و تحويل الهند من بلد إسلامي إلى بلد تكون فيه الهيمنة للهندوس و أهل الديانات الأخرى بهدف الاستقرار السياسي.

٢- انتشار البدع والخرافات بين المسلمين و شيوع التصـــوف المغشوش و انخراط كثير من أهل الزوايا إلى ترويج فكـــرة "وحدة الوجود" و "عقيدة الحلول والاتحـــاد" والإدعـــاء بسقوط التكليفات الشرعية عن الناس حتى بدأ بعضـــهم يرددون بيت شعر معناه:

"الكفر والإيمان قرينان فمن لم يتمتع بالكفر لم يتمتع بالإيمان"

و قالوا: إذا ارتفع الحجاب' اختلط الكفر بالإيمان والإيمان بالكفر وارتفعت العبادة والعبودية.(١)

٣- سيطرة الفلسفة اليونانية على العقول و انحراف الناس بسببها و ترديد مقولات الفلاسفة حول القضايا الغيبية من قبل العلماء و رجال الدين و انشغالهم في المناقشات والمناظرات حولها.

٤- كثرة ضعاف النفوس و علماء السوء الذين كانوا يبيعون الدين بالدنيا والآخرة بالأولى.

لقد وجد الإمام السرهندي نفسه أما وضع خطير للغاية لم تكن معالجته سهلة و إن أي خطوة غير حكيمة كانت قد تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه و تؤدي إلى ترسيخ سلطة الكفر إلى الأبد و نهاية سريعة لوجود الإسلام في الهند.

فلم يشكل الإمام جبهة معارضة حتى لا يقوض الحكم و يخرج الأمر إلى أيدي الأغلبية الهندوسية التي كانت تتربص لذلك من خلال ذوي النفوذ من زعمائها في البلاط الإمبراطوري و

(١) رسالة عشقية ٧٣.

باعتباره داعية حكيما لم يشكل جبهة معارضة مع تألمه الشـــديد كما يتبين من رسائله.

كتب إلى أحد كبار رجال الدولة:

"وا ويلاه، وا حزناه، وا مصيبتاه, إن أتباع محمد صـــلى الله عليه وسلم الذي هو حبيب رب العالمين، بهذا المكان مـــن الـــذل والهوان، والكفار والمشركون والوثنيون يتمتعون بالحرية و هذا في عهد رجل يسمى بالإسلام".

و يقول مخاطبا لأحد منهم:

"أنت مسلم، والحياة عارضة، والمِلك لا يعيش دائما، و هذا الحكم لا يدوم، اتق الله في نفسك، اتق الله في أمّتك، اتـــق الله في بلادك".

و من مواقف الإمام السرهندي الرائعة أنه حينما دعاه الملك جهانكير إلى قصره للمثول أمامه.

فدخل من غير أن يسجد له ولما أمره الملك بذلك فأبى قائلا:

"ما سجدت لغير الله قط و لن أسجد لغيره أبدا فاستشـــاط الملك غضبا و أمر بسجنه و وضع في الإقامـــة الجبريـــة في قلعـــة كواليار.([1])

(١) توزك جهانكيري ٢٧٢.

لكن الإمام السرهندي حوّل سجنه إلى ساحة الدعوة والإنابة.

يقول المستشرق الشهير آرنلد في كتابه المعروف (Preaching of Islam) "الدعوة الإسلامية".

كان في عهد السلطان جهانكير (١٦٠٥ -١٦٢٨م) عالم سني يدعى أحمد المجدد، اشتهر بالرد على الشيعة، و كان الشيعة ذوي النفوذ في البلاط فاحتالوا عليه حتى سببوا له في الاعتقال فبقى في المعتقل عامين واستمال في هذه المدة مئات من رفقته السجناء من غير المسلمين إلى الإسلام فاعتنقوه.(١)

إن أهم ما تركه الإمام السرهندي من مؤلفاته هي مجموعة رسائله ومكاتيبه وهي باللغة الفارسية و قد ترجمت إلى اللغة العربية و طبعت مرارا، وهي تعبير صادق عن مشاعره وميوله، و ناطق أمين عن علومه و معارفه، وبرهان ساطع على تغلغله في العلوم الفلسفية الدقيقة والمعارف الروحية والسلوكية، وقدر الله لهذه الرسائل قبولا عاما في أوساط رجال الدعوة والإصلاح فهي منهل علمي فيّاض و مصدر إشعاع روحي للمصلحين والمسترشدين و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

مجموعة رسائل الإمام السرهندي تحتوي على ٥٣٦ رسالة منها

---

(١) الدعوة الإسلامية ص: ٤١٢.

ما هي موجهة إلى الأمراء ورجال البلاط الملكي بهدف تغيير بوصلة الحكومة، ومنها ما هي موجهة إلى تلاميذه ومسترشديه وآخرين.

و أما من ناحية المحتوى ففيها مسائل فقهية و سياسة شرعية و نقد على العلوم العقلية والكشفية' و بيان لمعاني البدعة والسنة و إصلاح للأخلاق الذميمة و تعليق على الأذواق والمواجيد الصوفية و إن مجموعة رسائله النادرة بمجلداتها الثلاث الضخمة تبرهن على ما قام به هذا الإمام الجليل و فيما يلي بعض المقتطفات منها:

يقول متحدثا عن علماء السوء:

إن صحبتهم سمّ قاتل و إن فسادهم يكون عاما و متعديا و في عصر الملك أكبر' هم كانوا وراء الفساد، أضلّوا الحكام و ألقوا الإسلام في محنة.(١)

و يقول:

أعاذنا الله من فتنة علماء السوء...

علماء الحق هم أحسن الناس و علماء السوء هم شر البريّة، رأي بعض الصالحين إبليس عاطلا عن العمل فسأله عن ذلك. فقال: إن علماء السوء هم يقومون بأداء دوري.(٢)

---

(١) المكتوبات ٤٧/١.

(٢) // //

و يقول عن السلطان:

إنه بمنزلة القلب من الجسد إذا صلح القلب صلح الجسد كله، كذلك إذا صلح السلطان عمّ الخير في العالم و إذا فسد فانتشر الفساد في المجتمع كله.

لقد استخدم الإمام السرهندي قلمه البليغ لإقناع العقول وتغيير القلوب بدل إشهار السيوف لإزاحة الهامات وقطع الرؤوس.

تتميز رسائله بعلم غزير، وروحانية مؤثرة وأسلوب أخاذ، فأحدث انقلابا في الساحة السياسية من غير أن يعلن ذلك من خلال رسائله المؤثرة إلى الأمراء و رجال البلاط و استطاع بحكمته أن يحدث تغييرا جذريا في اتجاه الأسرة الحاكمة فخلف جهانكير بعد أكبر فأوقف إتجاه الإلحاد والفساد، ثم ورثه شاهجهان فكان أحسن منه إلى أن جاء عصر أورنغ زيب عالمكير على عرش الأسرة المغولية فكان في صلاحه من الملوك الراشدين و كل ذلك تم من غير إراقة قطرة من الدماء.

إن مكتوبات الإمام المجدد مازال مصدرا ثرّا للدعوة النقية والمعارف القلبية' و فيها تفنيد للبدع والخرافات وما حاق بتعاليم الإسلام من خرافات.([1])

(١) الشيال تاريخ دولة أباطرة المغول ٢٠٧.

يحث الشيخ المجدد في رسائله العلماء على التجرد والأخـــلاق وعدم الركض واللهاث وراء الدنيا، و عرض الإســـلام بالأســـلوب الشيق، و إنما بجهود الشيخ السرهندي استطاع المسلمون بالتخلص من "الدين الإلهي" والعودة إلى الدين الإسلامي الحنيف بحمد الله وتوفيقه.

كما يركز الشيخ السرهندي في رسائله على التـــزام أهـــل التصوف بأحكام الشريعة و إن العلوم اللدنّية أو يســـمّى بعلـــم الحقائق إذا لم تكن خاضعة للشريعة و مطابقة لنصوصها فالاشتغال بها يكون إلحاد و زندقة.(١)

و في نهاية المطاف يمكن تلخيص دور الإمام أحمد السرهندي الإصلاحي و عمله التجديدي في النقاط التالية.

ـــــ قام بإعادة الحكام في الهند إلى الإسلام و إعادة الحكم إلى المسلمين و بالتالي بالمحافظة على الوجود الإســـلامي في شبه القارة الهندية عموما.

ـــــ نجحت جهوده في رد ثقة الطبقة المثقفة مـــن المســـلمين بدينهم و عقيدتهم بعد ما كان توجه الـــبلاط الملكـــي أبعدهم عن الدين و أورث في نفوســـهم أنواعـــا مـــن الشكوك والأوهام حول الإسلام و مبادئه الحنيف.

---

(١) مكتوبات ١/ رقم ٣٤ – ٤١.

ـــــ قام بدحض أكبر محاولة في التاريخ للتلفيق بين الأديان و تغليب المفاهيم الوثنية والخرافية على مبادئ التوحيـــد، والتخليط بين الحلال والحرام والدمج بين الطيب والخبيث بهدف القضاء على الإسلام فنجحت جهوده في القضاء على "الدين الإلهي" الملفق و إنقاذ الناس من ويلاته.

ـــــ قام بتطهير "التصوف" من الأفكار الإباحية والإلحاديـــة التي كانت تسربت إليه بسبب التفسير الخاطئ "لوحدة الوجود" من قبل الزنادقة والدجالين من أدعياء التصوف.

ـــــ قام بوضع حد للأضاليل التي كان يروجهـــا الفلاســـفة والعلوم الكشفية التي كان يروجها غير الناضجين مـــن أهل التصوف.

كما نجح بفضل الله و توفيقه في إحياء كثير من الســـنن و إماتة الكثير من البدع.

وهذا دور المجدد الذي يقوم به في إنارة الطريق و يدفع عـــن الدين تحريف المغالين وانتحال المبطلين فجزاه الله عـــن الإســـلام والمسلمين خيرا و رحمه رحمةً واسعةً.،،،

* * *

المراجع:

- حضارات الهند — جوستاف لوبون
- من السجن إلى الرئاسة — جواهر لال نهرو
- التاريخ الإسلامي
- مكتوبات (رسائل الإمام الرباني) الشيخ أحمد السرهندي
- تذكرة — لأبي الكلام آزاد
- تذكرة مجدد ألف ثاني — مناظر أحسن الكيلاني
- دائرة المعارف الإسلامية (الأردو) (مجموعة من الباحثين)
- زبدة المقامات — محمد الكشي
- حضرات القدس — بدر الدين السرهندي
- آثار الصناديد — سيد أحمد خان
- بلاد الهند في العصر الإسلامي — د. عصام الدين الفقي
- سل الحسام الهندي — لابن عابدين الشامي
- الإمام السرهندي — أبو الحسن علي الندوي
- توزك جهانكيري — الإمبراطور جهانكير
- بزم تيمورية — صباح الدين عبد الرحمن
- الدعوة الإسلامية — بروفيسور آرنلد
- المبدأ والمعاد — السرهندي

- نقد العقل الخالص عما نويل كانت
- تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي
- نزهة الخواطر عبد الحي الحسني
- منتخب التواريخ عبد القادر البدايوني
- العقل والنقل للعثماني

العَـــــــــلامة المحدِّث
عَبدُ الفَتَّاح أبُو غُدَّة رحمه الله

لقد فقد العالم الإسلامي في فترة متقاربة عديداً من العلمـــاء الربانيين و الجهابذة المحققين, مما أحدث فراغا هائلا في الأوســـاط العلمية يصعب سده من أفراد الجيل المعاصر.

ففقدت مصر الداعية الكبير والمفكر الشهير الشـــيخ محمـــد الغزالي، والهند أكبر المفتين أستاذنا العلامة الفقيه محمـــود حســـن الكنكوهي، كما حرمت دولة الكويت من العالم الكبير' المرجع في المذهب الحنبلي الشيخ محمد بن سليمان الجراح، ونعت دولة قطر رئيس محاكمها الشرعية صاحب المعالي الشيخ عبد الله بن زايد آل محمود، وأخيراً تلقت الأمة الإسلامية بغاية من الأسف خبر وفـــاة المحدث الجليل، الفقيه الشهير، المحقق البحاثة الشيخ عبد الفتاح أبي غُدّة، فرحمهم الله جميعاً وأمطر عليهم شآبيب رحمته و رضـــوانه وأسكنهم فسيح جناته .

و كان لوفاته رحمه الله وقعاً شديداً على نفسي .

وقد شعرت بوفاته ذهاب أحد من مشايخنا الكبار أمثال العلامة محمد يوسف البنوري والشيخ المفتي محمد شفيع والمحدث الجليل الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، وذلك لأن الشيخ الراحل أبا غدة رحمه الله كان واحدا منهم ومن نفس العقد الذهبي الذي كان يجمع أولئك المشايخ رحمهم الله.

ولادته ونشأته العلمية :

ولد رحمه الله بمدينة حلب الشهباء في بلاد الشام عام ١٩١٧م، وتلقى تعليمه الابتدائي في مختلف مدارس الشام، ثم ارتحل إلى الجامع الأزهر بالقاهرة حيث أتم دراسته العليا في نهاية عام ١٩٥٠م.

أبرز شيوخه :

لقد وجد رحمه الله نخبة من العلماء البارعين في مختلف العلوم والفنون فانتهل وارتوى من منابعهم الفياضة، من بينهم فضيلة الشيخ راغب الطباخ والشيخ الكبير فقيه بلاد الشام رائد المذهب الحنفي أحمد الزرقاء والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ عبد الحليم محمود والشيخ محمود شلتوت والمحدث عبد الله الصديق الغماري، كما أنه انتهل من منهل شيخ الإسلام في تركيا الشيخ

مصطفى صبري، والمحقق الناقد البصير العلامة الكبير زاهد بن الحسن الكوثري رحمهم الله تعالى جميعاً ، وكان لشخصية الكوثري تأثير كبير في حياته العلمية ومنهجه في التحقيق والتعليق على الكتب ، فكان الكوثري هو رائده في البحث والتحقيق والاطلاع على الكنوز العلمية والكتب المطبوعة والخطة النادرة من كافة مكتبات العالم ثم تفرد في التركيز على علوم الحديث و إبراز كنوزها النادرة و جواهرها المخبوءة .

رحلاته العلمية :

لم يكتف الشيخ رحمه الله في سبيل تلقى العلوم والفنون والإستفادات العلمية بهؤلاء الأعمال في العلم والفقه، و لم يرو غليله في التحصيل العلمي فظل مشغوفا بالاستزادة العلمية منهوما بالمزيد من العلم والاطلاع ، فبدأ يجول في شتى دول العالم لاقتطاف ثمار العلم اليانعة والاستضاءة من المعارف النادرة من علمائها وفقهائها، و لم يزل عكوفا على حصول بغيته ونيل ضالته حتى أتاه اليقين، فأجاب نداء ربه تعالى القائل :

" يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي " (الفجر)

فسافر إلى المملكة العربية السعودية والسودان والهند وباكستان وأفاد من مناهلها العلمية و مصادره الفياضة ، وكانت كلما سنحت له فرصة الاستفادة استغلها وانتهزها بكل جد ونشاط.

وإن رحلاته إلى شبه القارة الهندية كانت ذات أهمية كبيرة فقد حصل خلالها على الإجازات في رواية الحديث من أمثال الأئمة الأفذاذ الشيخ العلامة محمد يوسف البنوري والشيخ بدر عالم الميرتهي والمفتي محمد شفيع والمحدث الكبير الشيخ ظفر أحمد العثماني والعلامة محمد إدريس الكاندهلوي والمحدث الشيخ فخر الدين أحمد شموس العلم و بدوره البازغات النيرات .

وقد أثمرت صلته الوطيدة وارتباطه الوثيق بعلماء شبه القارة الهندية أن جعل شغله الشاغل الاهتمام بكتب ومؤلفات نابغة المتأخرين العلامة المحدّث عبد الحئ اللكنوي وإمام العصر العلامة محمد أنور شاه الكشميري والشيخ ظفر أحمد العثماني، وبذل كل ما في وسعه في سبيل إحياء تراثهم العلمي المجيد الذي ازدانت به المكتبة الإسلامية ، فأصدر الشيخ رحمه الله سلسلة ذهبية من مؤلفات العلامة اللكنوي، وزاد في قيمتها العلمية بتعليقاته الضافية وتعليقاته الثمينة وأخرجها في طبعات أنيقة رشيقة، حتى في بعض الأحيان تضاعفت تعليقاته في دقتها وسعتها أضعافا كثيرة عن

حجم الأصل.

وقد اقترح عليه بعض محبيه أن يطبع تعليقاته في كتاب مستقل يندرج الأصل فيه وينسبه لنفسه فأجاب قائلا :

إن إتمام بناء الآباء خير مائة مرة من إنشاء البناء من الأبنـــاء فضلا عن أن جزء من الحق الذي لهم علينا والوفاء بهـــم، فهـــم الأصل الأصيل والنور الدليل والفهم المستقيم والعلم القويم، ومـــا تركوا في آثارهم من بقايا فجوات طفيفة لا يقتضى منا تخطـــيهم والإعراض عن آثارهم النفيسة. ([1])

وبهذا يتبين مدى حرصه واعتنائه البالغ بـــالتراث الإســـلامي الذي خلفه علماء شبه القارة الهندية، فقد وقف حياته كلها لخدمته ومعظمه في علوم الحديث والسنة المطهرة من علم أسماء الرجـــال وعلم الجرح والتعديل وعلم مصطلح الحديث الأوساط العلميـــة فكان خير وسيلة لإيصالها إلى الأوساط العلمية .

نظرة على بعض مآثره العلمية

فنجد في قائمة تحقيقات الشيخ أبي غدة رحمه الله والتي اعتنى بها دراسة وتحقيقا وتعريفا هي الكتب التي ألفها خاتمـــة المحققـــين

---

[1] الرفع والتكميل في الجرح والتعديل : ص ٦ .

الإمام اللكنوي في مختلف العلوم خاصة في علوم مصطلح الحديث وكتب الإمام العلامة ظفر أحمد العثماني وكتب إمام العصر محمد أنور شاه الكشميري، فالأوساط العلمية مدينة للجهود التي بـــذلها الشيخ رحمه الله في مجال تسهيل الوصول إلى هذه المؤلفات النادرة وإتاحة فرصة الاستفادة منها، فيرجع إليه الفضل في هـــذا البـــاب وهو الذي انار الطريق لطلبه العلم والعلماء البـــاحثين إلى هـــذه الجواهر الثمينة، فجزاه الله خيراً.

ومما لا رَيب فيه – ولا نبالغ إذا قلنا : أن الشيخ رحمه الله هو الذي كانت له سعادة تعريف ونشر كتب ومعارف علمـــاء الهنـــد الأعلام إلى العالم العربي، ولم يسبقه أحد في نيل هذه المكرمة العظيمة والشرف الجليل، وذلك لأنه كان عارفا قيمة هذه الـــلآلي القيمـــة ومطلعا على ما تحتل هذه التصانيف من مكانة مرموقة ودرجة عاليـــة في خرينة التراث الإسلامي الزاخر فعرف بتبحره العلمي والصـــحيح والسقيم، وذلك كما قال الشاعر الفارسي (معناه)

" إن قيمة الجواهر الثمينة والأحجار الكريمة واللآلي النادرة لا يعرفها إلا الملوك أو تتجلى لدى أصحاب المجوهرات "

فشمر الشيخ عن ساق جده لخدمة هـــذه النـــوادر العلميـــة وقدمها أمام العالم الإسلامي يستفاد منـــها، وزينـــها بالحواشـــي

والتعليقات العلمية قلما يجدها طالب العلم في تحقيق شخص آخر، وهذه الميزة التي جعل الشيخ يفوق أقرانه ويسبق معاصريه في هذا الميدان، كما قد كان أعطاه الله تعالى مواهب وصلاحيات عجيبة نادرة في تزيين كتبه ومؤلفاته الـــذي زاد فقـــدمها إلى المكتبـــات الإسلامية في تحقيق نادر وحلة قشيبة لقيت قبـــولا واستحســـانا حطم الرقم القياسي عند كل من وقف عليها من أهل العلم.

كان الشيخ رحمه الله يصرف جل اهتمامه في خدمـــة علـــم مصطلح الحديث، ويقدر هذا العلم تقديراً لائقاً، وكان هذا هـــو السبب أنه حينما حقق مقدمة "إعلاء السنن" للشيخ ظفر أحمـــد العثماني باسم "قواعد في علوم الحديث" أعرب عن رأيه قائلا:

"وقد نخل شيخنا المؤلف رفع الله قدره وأجزل ثوابه وأجـــره من أجل ذلك كتب الرجال والمصطلح والأصول والفقه والتخاريج وشروح الحديث والتاريخ وما إليها مما وصلت إليه يده، وغربلها غربلة العارف البصير فاستخرج ما فيها مـــن الفوائـــد المغمـــورة والقواعد المنشورة ونسقها وبوبها خير تبويب وجعلها دانية الجـــني والقطوف لمجتينها وعلى طرف الثمام لراغبيها، فأسدى إلى العلـــم وطلا به يدا كريمة بيضاء.

وقد استخرج حفظه الله تعالى بدأ به العجيب ونظره الثاقـــب

نصوصا نادرة وقواعد فريدة غالية من غير نطاقها حتى إنه ليصدق فيه ما قيل في شيخنا الإمام الكوثري رحمه الله تعالى "كان كأنه بيده منور وضّاء يوجه أشعته إلى بطون الكتب والأسفار فينيرها ويخرج من مكانها النصوص الفريدة العجيبة إلى أنظار الباحثين والمحققين". ([1])

لقاء مع الشيخ ظفر أحمد العثماني:

قد تمكن الشيخ رحمه الله من زيارة مؤلف كتاب "قواعد في علوم الحديث" الشيخ ظفر أحمد العثماني في عام ١٣٨٢هـ ، ونتركه يحكي لنا قصة زيارته :

"كان من أغلى المقاصد عندي أن أزور علماء الهند وباكستان في ديارهم للاستفادة من كريم نفحاتهم والتزود من غزير علومهم وبركاتهم، وقد أكرمني الله بهنا في عام ١٣٨٢هـ، فرحلت إلى الهند وباكستان رحلة طويلة علمية شخصية . وكان زيارتي للمؤلف حفظه الله تعالى في بلدة أشرف آباد فحظيت به لقاءا وتلقيا واستفادة وإجازة شفاها وكتابة". ([2])

([1]) مقدمة قواعد في علوم الحديث : ص ٢.

([2]) // // // : ص ٣.

هذا وفي الأخير حقق الله تعالى أمنيته الكريمة الصادقة في تحقيق ودراسة كتاب "قواعد في علوم الحديث" فخدمه أحسن خدمة وأفاد وأجاد بمعنى الكلمة .

كما كان الشيخ رحمه الله يحب العلامة المحدث الشيخ أنور شاه الكشميري رحمه الله، ويعرف مكانته العلمية وعلو مرتبة وسمو كعبه في العلوم المختلفة، فوفقه الله تعالى للاستفادة من تلميذه النجيب الشيخ العلامة يوسف البنوري، والاستنارة بهدى معارفه والاستفادة من علومه، والذي كان يتميز بمزايا وخصائص لاتوجد تلاميذه الآخرين .

فقد حقق الشيخ رحمه الله كتاب العلامة أنور شاه الكشميري المسمى بـ " التصريح بما تواتر في نزول المسيح " حققه وعلق عليه وأخرجه في حلة قشيبة وجعله بتعليقاته القيمة وتحقيقاته النادرة كتاب ضخما في مجلد كامل، وقد طبع عدة طبعات، كما زوده بمقدمة حافلة، ودراسة ضافية تتعلق بترجمة الشيخ الكشميري وبيان إمامته شتى الفنون والعلوم، وأبتعها بذكر تصانيفه المطبوعة والمخطوطة، وقد استقى هذه المعلومات القيمة حول حياة الشيخ الكشميري رحمه الله من كتاب الشيخ يوسف البنوري رحمه الله المسمى "بنفحة العنبر" ومقدمة "فيض الباري" كما أن مقدمته

للكتاب تضمنت قصة الحصول على نسخ الكتاب، وذكر العلاقات الوثيقة القائمة على الحب والمودة مع كل من الشيخ يوسف البنوري والمفتي محمد شفيع رحمهم الله جميعا وصور تصويرا دقيقا رائعا وفي أسلوب جذاب وممتع قصة فراقه فقال :

ولما قاربت ساعة الرحيل أنشدت حينذاك ما أنشدنيه شيخنا آخر شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية العلامة شيخ الإسلام مصطفى صبري رحمه الله تعالى حين ودّعته مسافراً من مصر إلى بلدي :

قالت ومدّت يداً نحوي تُودّعني ولوعة البين تأبى أن أمد يداً
أميّت أنت أم حيّ ؟ فقلت لها : من لم يمت يوم بين لم يمت أبداً

فأنشد شيخنا محمد شفيع قوله :

تذكر عهدا بالحمى ثم معهداً جرى فيه من دور الكؤوس تسلسل
بكينا فأبكينا ولا مثل ناقف لحنظلةٍ في الحي حين تحمّلوا

وكان حال شيخنا البنوري وحالي يقول :

ويبكي فأبكي رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دماً

ثم كان الوداع والفراق حول مكانة العلامة الكشميري الأدبية والبلاغية وما كان يحتله الشيخ من مرتبة عالية في الأدب رفيعة وذوق شعرى لطيف يقول :

للشيخ الكشميري الهندي الدار واللسان شعر كثير بالعربيـــة، يفيض عذوبة ورقة وبلاغة، حبذا لو جمعه بعض محبيه في ديـــوان وجمع معه المراثي التي قيلت فيه بالعربية لكان ذلـــك زاداً كريمـــاً للأدب العربي يستحق الدراسة مثل أو أكثر مـــن دراســـة شـــعر "المهجر"

وكان رحمه الله يتمنى أن ينشر الحواشي المفيدة والتعليقـــات القيمة التي كتبها العلامة الكشميري رحمه الله على كتاب "آثـــار السنن" للعلامة المحدّث شوق النيموي رحمه الله وكانـــت هـــذه التعليقات في حاجة إلى من يقوم بتخريج وتوثيق إحالاتها، فـــرآى الشيخ أن الشيخ يوسف البنوري أحرى وأجدر أن يقـــوم بهـــذه الخدمة الجليلة لكونه تلميذ العلامة الكشميري، فحثه علـــى هـــذا العمل المبارك الذي يعد من إتمام بناء الآباء عن طريق الأبناء . لكن مع الأسف الشديد أن هذا البناء لم يزل غير مكتمل ينتظر من يقوم بإتمامه، وقد توفي الشيخ البنوري رحمه الله قبل فترة من الـــزمن، و انفق عصارة جهوده كلها في تصنيف "معارف الســـنن" شـــرح الترمذي، الذي لم يكتمل أيضا.

لقد خلف الشيخ رحمه الله وراءه عددا كبيرا مـــن المؤلفـــات والتحقيقات التي تربو بضعا وستين كتابا بين التحقيق والتـــأليف،

وعديداً من الأعمال التحقيقية التي لم تطبع بعد، وقد تميزت شخصية الشيخ عبد الفتاح أبي غدّه رحمه الله في مجال البحث والتحقيق والتعليق بمزايا وخصائص، لا يعادله ولا يدانيه فيها أحد من معاصريه فكان بلا شك خاتمة المحققين، لاسيما عكوفه على تصانيف الإمام اللكنوي واشتغاله بها أتاح له فرصة طيبة لجمع مواد علمية في أسماء الرجال وعلم الجرح والتعديل، و لم يتمكن من ذلك أحد من أقرانه.

وكانت طريقة تحقيقية تختلف عن الآخرين كليا، فكلما مست يده كتابا أو رسالة صغيرة في وريقات قام بخدمته حتى تضاعفت الرسالة إلى أضعاف كثيرة، وأصبحت كتابا مستقلا مزيدا من النكاات العلمية ومحلى باللطائف المعرفية.

كما أن استخدامه أحدث أساليب مناهج البحث والتحقيق واعتناءه البالغ بالترقيمات واهتمامه الشديد بقواعد الإملاء والكتابة، وتقديم الفهارس الفنية بدقة بالغة التي تجعل القارئ والمستفيد يولع بكتاباته ويعجب بها، فلا يتركها أحد إلى أن ينتهي منها، وكان من طبيعته رحمه الله أنه لا يرضى بالأوراق العادية الرخيصة لطباعة كتبه بل يختار أرقى الأنواع وأغلاها ثمنا وهذا كله إن دل على شيء فانه يدل على ذوقه الرفيع واختياره الأفضل

وإعطائه غاية الأهمية والمكانة للعلم الذي يتمتع به .

تبين لنا في ضوء ما تقدم أن ما قدمه الشيخ عبد الفتاح رحمه الله في مجال البحث والتحقيق والدراسة لجدير أن يسجل في تاريخ تراث الأمة الإسلامية بماء الذهب، ولا ننسى في هـــذه المناســبة مساعيه الحثيثة وجهوده الناجعة لإزالة الفوارق ورفع الحواجز التي أحدثها بعض قليلي الفهم بين المحدثين والفقهاء، فجاءت مجهودات الشيخ رحمه الله للتقريب بين الطائفتين، ونبه الباحثين والدارســين على أن سوء استخدام أصول الجرح والتعديل يؤدي إلى نشوء فتن كثيرة، كما أوضح طرق وأوجه الاستدلال عند الأئمة الأحناف، ودقة نظرهم في بيان كثيرة، وجوه الدلالة، كان هذا في جانـــب، وفي جانب آخر زاد في استكمال مقاصد الكتاب العظيم وموسوعة أدلة الأحناف الحديثية والأصولية الذي ألفه الشيخ ظفـــر أحمـــد العثماني رحمه الله بإسم "إعلاء السنن" وذلك عن طريق تحقيق تلك المقدمة القيمة التي تعتبر مدخلا أساسيا إلى دراسة هـــذا الكتـــاب العظيم والتي طبعت فيما بعد بإسم "قواعد في علوم الحديث" .

وكما سبق أن صلته بكتب مصطلح الحديث وأسماء الرجال كانت كبيرة، والدليل عليه ما تذخر به المكتبات الإسلامية مـــن تحقيقاته العلمية وتعليقاته النادرة، على كتاب "الرفع والتكميل في

الجرح والتعديل" والأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة" قواعد في علوم الحديث" ظفر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني" الشريعة غير خاف عن أنظار ذوي العلم .

وإن نطاق تحقيقه لم يقتصر على كتب الإمام اللكنوي والشيخ ظفر أحمد العثماني فقط، بل قد توسع فيه وتناول عددا كبيرا من كتب المتقدمين والمتأخرين بالبحث والتحقيق .

فكتاب "الموقظة في علم مصطلح الحديث" و "ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل" للإمام الذهبي، وكتاب "قاعدة في الجرح والتعديل" و "قاعدة في المؤرخين" للإمام السبكي، وكتاب "المتكلمون في الرجال" للحافظ السخاوي، وكتاب "توجيه النظر إلى أصول الأثر" للإمام طاهر الجزائري" وكتاب "بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب" للحافظ المرتضى الزبيدي، وكتاب "قفو الأثر في صفو علوم الأثر" لابن الحنبلي، هذا وأمثاله من الكتب الأخرى خير دليل على مكانته في هذا العلم .

وحينما نذكر هذه الهدية القيمة المتقدمة من نابغة العصر وحبر الزمن إلى علماء الأمة الإسلامية، نبتهل إلى الباري تعالى أن يتقبل منه هذه الخدمة الطيبة وينفع بها العلم والعلماء .

الشيخ أبو غدة والفقه الحنفي:

إن الشيخ رحمه الله لم يبرز أمام العالم وفي دنيا العلم والعلماء كمحدث نبيل وإمام متضلع من علوم من الكتاب والسنة فحسب، بل أعطاه الله تعالى حظا وافرا ونصيبا كاملا من التفقه في الدين، فكان مطلعا خبيرا بمذاهب فقهاء الأمة، عارفا بأدلتها عموما، ولكنه قد حصلت له درجة الإمامة في الفقه الحنفي، وذلك لكونه مطلعا على أصول الفقهاء وقواعدهم، ومدارك الاجتهاد لدى هؤلاء، ومع هذا كله فانه كان بعيدا كل البعد عن التعصب المذهبي والتقليد المذموم ويبدى رأيه في هذا بكل حرية، وبدون أي تردد أو تلعثم .

وتتجلى لنا مكانته العالية في مجال الفقه والإفتاء ومدى إطلاعه الواسع وخبرته الفائقة في ضوء ما قدم لنا من تحقيقه الحافل بعلوم الفقه والفتوى الجامع لشتى الفنون والدراسات لكتاب "الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام" للإمام القرافي، وكتاب "فتح باب العناية شرح النقاية" للإمام علي القاري، الذي لم يقدر له الاكتمال, وكتبا أخرى في الفقه والفتاوى وكلها جاءت مباركة ونالت القبول والاستحسان والتقدير من قبل العلماء والفقهاء وطلبة العلم على حد سواء .

وقد اطلعني في إحدى اللقاءات قبل سنوات في بيته بمدينة الرياض أنه قام بتحقيق مقدمة كتاب "فتح الملهم" للشيخ العلامة شبير أحمد العثماني، بإسم "مبادئ علم الحديث وأصوله" وسوف تطبع قريباً، وأضاف قائلا: أنه لو حصلت على هذه المقدمة من قبل لبدأت في نشرها قبل "قواعد في علوم الحديث وفضلتها عليها".

ولا شك أن مقدمة فتح الملهم تحفة علمية نادرة للمحدثين والفقهاء على حدي سواء وتحتوي على معلومات دقيقة وقواعد أصولية لا يكاد يجدها الإنسان في مكان واحد .

وإلى جانب هذه الفضائل الجمة والمناقب الكثيرة قد أعطاه الله تعالى قلبا زكيا متدفقا بالإيمان ، عامرا بحلاوة العبادة، واصلا درجة الإحسان .

فكان الشيخ رحمه الله نموذجا للسلف الأقدمين في العلم والعمل، وكان سريع البكاء غزير الدمع تستعبر عيناه من خشية الباري تعالى دائماً مصداقا لرجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

فيما ذكرنا بعض تصانيفه وتحقيقاته في علم مصطلح الحديث والفقه، والآن نسلط بعض الأضواء على ما قدمه الشيخ رحمه الله في كتاباته ومقالاته وبحوثه في موضوعات إصلاحية توجيهية

وتربوية، وهذه المؤلفات تجمع بين غزارة المواد العلميـــة وأصـــالة التجارب العملية، كما أنها تتميز بتقديم نماذج حيـــة مـــن حيـــاة السلف الصالحين التي وهي خير عون في تثقيف النشـــأ الجديـــد بالثقافة الدينية وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة من بينها :

"رسالة المسترشدين" وهي صغيرة الحجم كثيرة المنافع، ألفها الإمام الزاهد الحارث المحاسبي رحمه الله فحققها الشيخ وجعلها في متناول المستفيدين فهي روضة ندية وحديقة غناء لمن يريد تربيـــة نفسه والرقى في الأخلاق كما أنها زاد علمي ومنهج عملي لتزكية النفس وتطهيرها من الأدران .

كما ترك الشيخ رحمه الله مؤلفات نافعة ومصنفات قيمـــة مفيدة مثل "صفحات من صبر العلماء" و "العلمـــاء العـــزاب الذين آثروا العلم على الزواج" و "الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم" و "نماذج من رسائل الأئمة وأدبهـــم العلمي" وغيرها من الكتب العظيمة النادرة تزدان بهـــا المكتبـــة الإسلامية، ورزقت شيوعا وانتشاراً وكـــذلك كتابـــه "قيمـــة الزمن" غنى عن التعريف، فهو أحسن وأنفع كتاب ألف في هذا الموضوع على الإطلاق وقد نال قبول بين الناس وصدرت لـــه طبعات عديدة.

تواضعه وأخلاقه الرفيعة:

كان الشيخ رحمه الله مع كونه عالما كبيرا ومحققا بارعا وفقيها نبيلا، كان يتمتع بأخلاق كريمة، وسلوك رفيع، فكان مثالا في سمو الأخلاق وغاية التواضع إلى جانب خفة الروح والتواضع، وظرافته في المحافل والمجالس العلمية والجلسات الدينية، فلما جلس في مجلس يكون هو محطة الأنظار ومركز التوجهات، ويزيدها روعة وبهاءا من لطائفه العلمية وصنعته الكلامية وفوائده الغالية .

ومن أمثلة تواضعه الجم أن شرفني بقدومه الميمون في فندق انتر كونتيننتل في مدينة الرياض بنفسه عند مشاركتي في المؤتمر ودعاني إلى مأدبة كريمة في بيته، فمائدته لم تكن مجمع أصناف وأنواع من الطعام الشهي فحسب بل كانت مائدة المعارف والفوائد واللطائف العلمية، وهكذا كل اللقاءات معه رحمه الله، لا تخلو من النكات العلمية والطرائف الأدبية .

وقد خطيت بشرف صحبته من دلهي (عاصمة الهند) إلى "ديوبند" خلال زيارته للجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، فوجدته بعيدا كل البعد عن التكلفات، شأن العلماء المخلصين والمتواضعين، فإذا تكلم فكأن اللآلي تخرج من فمه، وإذا سكت فعلى ذكر الله تعالى، ولسانه ينطق بهذا الشعر:

أ آخـــر بشـــيء أنـــت في كـــل هجـــــعة

وأول شـــــيء أنـــت عنـــــد هبـــــوبي

فمن يصاحبه كان يشعر أنه إما مشغول بحل معضلة علمية أو لسانه رطب بذكر الله سبحانه كما أن خشيته وبكائه كانت تذكر بما قاله الشاعر الهندي: "جغر" في بيت شعر ما معناه :

"لا أدري ما هو الطيف الذي فاجأني وألم بي فأشجاني فظللـــت أذرف الدموع طويلا مصاحبا قلبي الحزين"

ويصدق عليه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم "رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"

إن اشتغاله بالعلم وعكوفه على الكتب وجهوده المتواصلة في إبراز التحقيقات العلمية النادرة يجعله في قائمة الأعلام من المتقدمين والمتأخرين.

و بعد وصوله إلى جامعة ديوبند انعقد حفل الاستقبال علـــى شرف الشيخ في دار الحديث بالجامعة، وفوض إلى تقديم كلمـــات للتعريف بالشيخ وأعماله، فخرج من لساني قول الشاعر "البيـــت يعرفه والحل والحرم" فلما سمع هذا الشعر من البيت إلا فاضـــت عيناه، و لم يرض أن يمدحه أحد أو يبالغ في التعريف به، وبطلـــب مني ألقى درسا في كتاب "مقدمة ابن الصلاح"

هذا كان في وقت ما كانت جامعة ديوبند محافظة على خصائصها وميزاتها وذلك بوجود الإمام العلامة الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي رحمه الله على رأس المسئولين عن إدارة شئون الجامعة ، وأما الآن فيصورها قول الشاعر:

أما الخيام فانها كخيامهم

وأرى نساء الحي غير نسائها

جانب آخر من حياة الشيخ رحمه الله:

هذا الذي قدمناه كان جانبا من جوانب حياة الشيخ، وهناك جانب آخر من حياته قلما يعرفه الناس، لغلبة الجانب العلمي على حياته الدعوية والعملية، الجانب الآخر هو الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية وما تواجهه من مشاكل، فلم يكن الشيخ رحمه الله في غفلة عن هذه الجانب و كان قد تعرف على الشيخ حسن البناء الشهيد رحمه الله وحركته أيام دراسته في القاهرة، وارتبط بحركته الإصلاحية وشارك في أنشطتها الدعوية إلى ان عين مراقبا عاما للإخوان المسلمين في سوريا وتحمل مصائب السجن والاعتقال، لكن مع هذا كله ظل الجانب العلمي هو طابعه العام وهو الذي كان غالبا عليه، فلم يكن طامعاً في منصب كبير ولا طامحا إلى

مكانة سياسية لم يلتفت إلى هذه الأمور، فما كان يقر له قرار إلا في روضته العلمية التي كان يجد فيها الراحة والسكينة فيعمل ليل نهار هادئ البال مرتاح القلب والضمير .

قضى فترة طويلة من حياته تزيد عن نحو عشرين عاماً في المملكة العربية السعودية بعد ما اضطر على الخروج من بلاده، ونشر هناك أنوار علومه وأضواء معارفه كأستاذ بارع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وانتخب عضوا في عديد من اللجان العلمية، كما أشرف علي عديد من الرسائل العلمية، واستمر في عمل التصنيف والتأليف، وترك جماعة كبيرة من المعجبين بعلمه معترفا بورعه وتقواه مشيداً بأخلاقه وهم من الشباب والكهول والشيوخ كما أن بينهم كبار العلماء والأفاضل والأمراء وأصحاب المناصب .

قد منحه الله تعالى قوة عجيبة في البيان والتعبير، فكان يأخذ العقول والقلوب بأسلوبه الشيق يلامس الوجدان لما يتمتع كان بروح الإخلاص والاحتساب و دافع الإصلاح والاحتراق للدين، والغيرة على تعاليمه والدفاع عن حياضه .

بعض محنة وإبتلاءاته:

من سنة الله تعالى في هذا الكون أنه يبتلي بعض عباده المؤمنين

المخلصين بأنواع من البلايا والمحن، وهذه الابتلاءات والمحن تكون لرفع درجاتهم وإعلاء مراتبهم في الدنيا والآخرة، فالشيخ عبد الفتاح أبوغدّه رحمه الله قد واجه عديدا من المخالفات من قبل بعض الحُسّاد من معاصريه، لكن كما هو ديدن العلماء الربانيين وطبيعتهم أنهم يتحملون هذه المصائب ويشربون جرعات المرارة والمخالفة بالصبر.

كما ابتلى الشيخ في حياته ببعض الحاقدين عليه وقد قيل: "ان كل ذي نعمة محسود" فلم تخلو حياة الشيخ ببعض من أراد السوء به أو أراد زوال نعمته فسبب هؤلاء في جر بعض المشاكل له ولكن كما قال الشاعر: إذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود كما جرى بعض مخالفات ومناقشات بينه وبين عدد من معاصريه من أبرزهم الشيخ الشهير محمد ناصر الدين الألباني واستغل البعض علاقته بشيخه الإمام الكوثري وكذلك انتماء في الفقه إلى المذهب الحنفي للطعن فيه و تجريح شخصيته.

وفي جميع هذه المواقف ظل الشيخ صابرا محتسبا ، و لم يشغل نفسه في الردود ودحض وتفنيد ما وجه إليه من اتهامات إلا أنه اضطر أن يكتب رسالة صغيرة بعنوان "كلمات في رد أباطيل وافتراءات" لكنه ظل صائنا نفسه محافظا على عفة قلمه ولسانه

مترفعا عن استخدام كلمات نابية في حق مناوئيه فمن قارن بين ما وجه إليه من سباب وما جوبه به من انحطاط واسفاف يتمثل بقول الشاعر :

وشتان ما بين اليزيدين في الوغى يزيد سليم والأغر بن حاتم

إعتدال فكري واتزان منهجي:

لقد استطاع الشيخ الراحل عبد الفتاح أبو غدّه التعامل مع بعض المتناقضات من غير انحياز إلى طرف دون آخر أو الميل إلى تيار فكري على حساب تيار فكري آخر مناهض له .

فرغم حبه الشديد للعلامة الكوثري واستفادته منه واعتباره من أبرز أساتذته لم يتبع منهجه في نقد أفكار الإمامين الجليلين ابن تيمه وتلميذه ابن القيم فظل يذكرهما بتقدير واجلال وينقل منهما عبارات وافكار في هوامشه وتعليقاته التي كتبها والبحوث التي أعدها بل قام بتحقيق بعض الكتب للإمامين الجليلين. فحبه للكوثري لم يقطعه عن علم شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه النابغة و لم يوقعه في ذكر مثاليهما أو الطعن فيهما وهذا النوع من التوازن الفكري والاعتدال المنهجي لا يتمتع به إلا النوابغ من العلماء والعصاميون من الرجال .

مناقشة مع الشيخ الإمام:

" نشرت مجلة "الأمة" في عددها الثالث والخمسين الصادر في جمادى الأولى من عام ١٤٠٥هـ مقالا بعنوان : (تعبيرات خاطئة) بقلم فضيلة الشيخ الكبير المحدّث عبد الفتاح أبي غدّة الذي يبدي ملاحظاته بل استنكاره الشديد حول بعض التعبيرات التي تجري على أقلام الكتّاب والمؤلفين، وهي غير صحيحة- كما يتصور- وإن من حق العلماء أن يصححوا المفاهيم، وينبهوا على التعبيرات الخاطئة خاصة إذا وردت في كتابات المؤلفين الذين يحتذى بهم وتؤخذ منهم التعبيرات والمفاهيم, ولا شك أن ما يتعلق بذات الله سبحانه وصفاته أشد خطورة ينبغي أن يكون الكاتب عنه في منتهي الدقة والتيقظ، ومن هنا أقدر دافع النصح في كاتب المقال، وأشكره على أن ملاحظاته شملت رسالتي (الكون يشهد بوجود الإله) أيضا غير أن قبولي للنصيحة لا يمنعني أن أذكر النقاط التالية التي لم يراعها فضيلة الشيخ أثناء كتابة المقال المذكور، ولو كتب غيره لما كنا في حاجة إلى النقاش أو التعليق عليه، وهذا مع تقديري لعلمه وجهده لنشر العلم وحبه للعلماء وليس الدافع إلا الاستزادة من علمه والرغبة أن يكون مقاله أكثر دقة مثل مؤلفاته وكتبه القيمة والنقاط التي تخطر ببالي هي التالية:"

١-استنكار تعبير (قوة عليا) جاء مصحوبا بالاستدلال الآتي :

لأن "القوة" صفة لا تستقل بنفسها وإنما تقوم بغيرها، مثل: (العلم) و (الجلال) و (الإكرام) و (العزة) فإن هذه الصفات لا تقوم بنفسها، وإنما تقوم بذات تتصف بها، فإذا قلنا: (الله قوة) اقتضى هذا التعبير الخاطئ أن الله تعالى – الذي يعبرون بتلك الصفات عنه – حال في غيره، وحاشا لله عن ذلك وتعالى علواً كبيراً ..الخ.

ولا أدري كيف يلزم هذا مع أن (القوة) صفة لله سبحانه، وإطلاق الصفة على الذات أو حمل المصدر عليها بقصد المبالغة تعبير سائغ في الدين، شائع في اللغة، وأمثلته كثيرة، وقد ورد في القرآن الكريم نفسه .

(١) ((الله نور السموات والأرض)) (النور : ٣٥)

(٢) ((هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام)) (الحشر : ٢٣)

(٣) ((ذلك بأن الله هو الحق)) (الحج : ٦)

وأن (النور) و (السلام) و (الحق) كلها من الصفات، وقد حملت على الذات، و لم يلزم المحظور الذي يشير إليه فضيلة الشيخ من الاحتياج إلى المحل باعتبار أنها صفات لا تقوم بنفسها، فإن من البدهيات التي لا يشك فيها عاقل أن خالق العالم لا يمكن أن يكون

من (الأعراض والصفات)، يقول الإمام ابن تيميه رحمه الله في شرح الحديث الصحيح "لا تسبوا الدهر إني أنا الدهر" .

لا يتوهم عاقل أن الله هو الزمان: فإن الزمان مقدار الحركة، والحركة ومقدارها من باب الأعراض والصفات القائمة بغيرها، كالحركة والسكون والسواد والبياض، ولا يقول عاقل: إن خالق العالم هو من باب الأعراض والصفات المفتقرة إلى الجواهر والأعيان (فتاوى ابن تيمية : ٢/٤٩٢).

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله: فيجوز أن يقال: الله نور من جهة المدح، لأنه أوجد الأشياء ونور جميع الأشياء، والرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتهجد فيقول: "اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض" (تفسير القرطبي : ١٢/ ٢٥٦-٢٥٧ بتصرف) .

ويقول البيضاوي في "أنوار التنزيل" :-

"النور" في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولا، وبواسطتها سائر المبصرات، كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية بهما، وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف، كقولك: زيد كرم. بمعنى ذو كرم. (تفسير البيضاوي : ٣/٢٣٣) .

ويقول البيضاوي في تفسير "السلام" :-

ذو السلامة من كل نقص وآفة، وصف به للمبالغة . (١٩٧/٤) فالقوة بمعنى "ذي القوة" ليس غريبا وسبحان الله ذي القوة المتين .

٢-جمع فضيلة كاتب المقال كلام أحمد أمين الذي ورد فيه :

(في العالم قوة خفية) .. و(هذه القوة هي الله رب العالمين)

وكلام سيد قطب الذي جاء فيه تعبير (القدرة المدبرة) وكلام الدكتور عمر الأشقر الذي جاء فيه تعبير (قوة عليا) وكلام بدر الحسن القاسمي (كاتب هذه السطور) الذي جاء فيه (قوة مدبرة) و (قوة عليا) واستنكر جميع هذه التعبيرات مع أن الدقة تقتضي الفرق بينها، حيث إن الحمل المباشر (القوة هي الله) أو القول بأن (في الكون قوة خفية) ما جاء إلا في كلام أحمد أمين، وسبق أن رد أستاذ الشيخ أبي غدة الشيخ العلامة محمد زاهد بن الحسن الكوثري على كلام أحمد أمين في حياته وجعل أساس الاستنكار "في" الظرفية في قوله (في الكون قوة خفية) واستنتج منه أن أحمد أمين يميل إلى مذهب الحلولية من فلاسفة الغرب قائلا :

فتكون تلك القوة حالة في العالم حيث جعل العالم ظرفا لها، والمظروف حال في ظرفه بالضرورة، ولا يتصور أن تكون هذه القوة

عنده من صفات الله ماخوذة من الإسم الكريم (القوي) لأن صفات الله قائمة بالذات العلية لا بالكون . (مقالات الكوثري : ٣٦٣).

وأين هذا في كلام غيره (سيد قطب، والدكتور عز الدين إبراهيم، والدكتور عمر الأشقر، وبدر الحسن القاسمي)؟ فمعنى قولنا (وراء هذا الكون قوة مدبرة) (قوة الله المدبرة) ومفهوم قولنا (وراء هذا الكون يد مدبرة) و (قوة عليا) و (يد الله المدبرة) و (قوة الله العليا) وحذف المضاف إليه في مثل هذه المواقع بسبب كونه واضحا راسخا في القلوب والنفوس لا يتساور الذهب إلا إليه، عام شائع لا يلزم منه أي محظور خاصة إذا كان الكلام موجها إلى الملحدين الذين ينكرون وجود الإله .

يقول الإمام ابن تيمية :

أما مخاطبة أهل اصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة كمخاطبة العجم : من الروم والفرس، والترك بلغتهم فإن هذا جائز حسن للحاجة . (فتاوى ابن تيمية : ٣٠٦/٣)

٣- مع أن الراجح عندي أيضا أن أسماء الله وصفاته توقيفية، غير أن اختلاف العلماء فيه معروف، يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره :

اختلف العلماء في أن أسماء الله تعالى توقيفية أم اصطلاحية، قال بعضهم : لا يجوز إطلاق شيء من الأسماء والصفات على الله تعالى إلا إذا كان واردا في القرآن والأحاديث الصحيحة .

وقال آخرون : كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله وصفاته فهو جائز، وإلا فلا.

وقال الغزالي رحمة الله عليه (بعد بيانه الفرق بين الإسم والصفة) أما إطلاق الاسم فلا يجوز إلا عند وروده في القرآن والخبر، أما الصفات فإنه لا يتوقف على توقيف . (تفسير مفاتيح الغيب للرازي : ١٥٢/١)

ثم يذكر استدلال القائلين بعدم التوقيف :

واحتج القائلون بأنه لا حاجة للتوقيف بوجوه :

الأول : أن أسماء الله وصفاته مذكورة بالفارسية وبالتركية وبالهندية، وإن شيئا منها لم يرد في القرآن الكريم ولا في الأخبار، مع أن المسلمين أجمعوا على جواز إطلاقها .

الثاني : أن الله تعالى قال: ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)) والاسم لا يحسن إلا لدلالته على صفات المدح ونعوت الجلال: فكل إسم دل على هذه المعاني كان إسما حسنا فوجب جواز إطلاقه في حق الله تمسكا بهذه الآية .

الثالث: لا فائدة في الألفاظ إلا رعاية المعاني، فإذا كانت المعاني صحيحة كان المنع من إطلاق اللفظة المعينة عبثاً. (مفاتيح الغيب: ١٥٣/١) وللحافظ ابن حجر مناقشات لطيفة في الموضوع.

٤- إن الحرفية التي يدعو إليها فضيلة الشيخ لا تنسجم مع موقف المفسرين الذين يفسرون ((الله نور السموات والأرض)) بقولهم : أي مدبر السموات والأرض، أو ضياء السموات والأرض، كما نقل ابن جرير والقرطبي عن أبي بن كعب والحسن وأبي العالية بل إن كلامه يؤدي إلى أنه لا يجوز استعمال لفظ "الصفات" لأنه لم يرد في القرآن والسنة مع أن الشيخ نفسه استعمل كلمة "أسماء الله وصفاته" في مقاله، وأنه لا يجوز القول: (الله موجود) لأن الموجود بالمعنى المتعارف لم يرد في القرآن والسنة، ولا يخفى ضعف هذا الموقف .

٥- ورد في الأحاديث الصحيحة الاكتفاء في الحلف ببعض صفات الرب سبحانه وتعالى، وقد أقام الإمام البخاري باباً عنوانه (باب الحلف بعزة الله وصفاته) (فتح الباري: ٤١٦/١٢-٤٦٢)، وهل هذا إلا لأن بعض صفات الله تكفي للتعبير عن الذات؟

٦-أما الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله فلم يتجنب في كتبه استخدام مصطلحات الفلاسفة كـ "واجب الوجود" و "الموجود الأصلي" و "العلة الأولى" أثناء مناقشاته مع الملحدين، مع ذلك أنا أحق بإحسان الظن إليه وأتحمل مسؤولية التغبير بـ "القوة" بمعنى ذي القوة، ولا أرى في ذلك بأساً في السياق الذي ورد فيه هذا التعبير، وبالمعنى الذي أفهمه ويفهمه معي القراء .

وأخيرا أكرر شكري وتقديري لفضيلة الشيخ أبي غدة، وأسأل الله السلامة من الوقوع في أي مترلق، وفقني الله وإياه لما يحب ويرضى .

الشيخ عبد الله علي المطوّع
شخصـــية إسلاميـــة خيـــــرية موهـــوبـــة

لدولة الكويت وجه حضاري متميز تعرف به بين دول العالم وشعوبها فهي – على صغر حجمها وقلة عدد ســكانها وعــدم اتساع رقعتها – تحتل مكانة مرموقة بين دول العالم ولها صــوت مسموع في المحافل الدولية لما تتميز به من ثرواتها النفطيــة الهائلــة ونهضتها العمرانية ومعيشتها القوية إلى جانب موقعها الاستراتيجي بين الدول العربية وغير العربية حيــث أصــبحت دول الشــرق والغرب تحوم حولها وتحاول أن تقيم معهــا علاقــات اقتصــادية وتجارية قوية.

وهناك جانب آخر لتميز الكويت وهو دورها الإنســاني في دعم الدول الفقيرة بالقروض للتنمية وتنفيذ المشاريع والمساعدات الإنسانية العاجلة إلى الدول المتضررة والشعوب المنكوبة سواء كان من جراء الحروب والاشتباكات أو في الكــوارث الطبيعــة مــن الزلازل والسيول المدمرة، ولا يقل دور شعب الكويت ورجــال

الخير من أبنائها في هذا المجال فهناك عشرات الجمعيات والمنظمات الإنسانية والإغاثية تواصل العمل من أجل إغاثة الملهوف وإسعاف المنكوب ورعاية اليتيم والعناية بالأرامل.

وقد عرف عدد من التجار من أبنائها البررة من رجال الأعمال قل نظيرهم على مستوى العالم – وكان من أبرزهم على الإطلاق المحسن الكبير والثرى الفاضل ورجل الأعمال المؤمن الشيخ / عبد الله علي المطوع رحمه الله الذي وافاه الأجل في الثالث من شهر يوليو الماضي والذي ترك فراغا رهيبا في أوساط العمل الخيري والذي بكى عليه القاصي قبل الداني لما كان له من دور مشرق وأياد بيضاء على مستوى العالم فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وبوفاة السيد / عبد الله علي المطوع لم تفقد الكويت رمزا من رموزها و وجها وجيها ولامعا من شخصياتها النيرة فحسب بل فقدت الأمة الإسلامية كلها علما بارزا من أعلامها وشخصية خيرة نادرة وداعية كريما عرف بالغيرة على الدين والحمية للإسلام وعاش حياته مدافعا عن الإسلام وداعما لكافة الجهات والمؤسسات التي أنشأها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

لقد عرفه القاصي والداني بالجود والسخاء والبذل المتواصل

والعطاء ينفق من أمواله آناء الليل وأطراف النهار فكان كـــالنبع الفياض لا تكدره الدلاء والمنهل الجاري لا تنقطـــع مـــع كثـــرة الواردين والصادرين والمستفيدين والمغترفين منه العطاء.

وكان رحمه الله تعالى دائم البشر واسع الصدر سمح الـــنفس حسن الأخلاق يتهلل وجهه نورا وسناءً يفرح بالعطاء ويـــأنس بالفقراء وإذا نال أحد من الإسلام أو هوجمت فئة من المسلمين في أية بقعة من بقاع العالم فكانت وقفته وقفة رجل مؤمن غيـــور لا يخاف في الله لومة لائم فيبادر بإصدار بيان وإيصال ما أعطـــاه الله من خير لمناصرة المظلومين والمنكوبين.

ورث السيد عبد الله علي المطوع من أبيه التجارة فبعد تخرجه وإكمال دراسته تفرغ للتجارة وقد وقاه الله من شحّ النفس ومـــن يوق شحّ نفسه فقد أوتي خيرا كثيرا فنشأ تاجرا وانتهج نهج رجال الأعمال في تطوير أنشطته التجارية فأعطاه الله سبحانه خيرا كثيرا ووهبه سعة في الرزق وبركة وازدهارا في المال، وكانت نشأته منذ نعومة أظفاره نشأة دينيةً وغراسه غراسا طيبا فلم يجعل الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه فنبغ كتاجر صدوق أمين يعبد ربه ويناصر دينه وعقيدته وكلما زاد الخير عنده ازداد شكرا وازداد تواضعا وازداد بذلا وعطاء فلم يصرفه الانشغال في البيع والتجارة يوما عـــن أداء

مسئولياته الدينية فكان مصداقا لمن ورد فيهم (رجال لا تلـــهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار)

كان قد ولد السيد / عبد الله علي المطوع عام ١٣٤٥هـــــ الموافق عام ١٩٢٦م وانتقل إلى الدار الآخرة في العاشر من شعبان ١٤٢٧هـــ الموافق ٣/ من أيلول عام ٢٠٠٦م وعاش نحو ثمـــانين عاما وفق التقويم الميلادي و٨٢ عاما حسب التقويم الهجري.

وقد التزم طوال حياته وفي جميع أنشطته التجارية أن لا يدخل العنصر الحرام في ماله وأن لا يقصّر في أداء ما يجب عليه من حق الله في ممتلكاته فابتعد عن الربا وواظب على الصدقات إيمانا منـــه بأن الله يمحق الربا ويربي الصدقات فكان يراقب بدقة مصادر دخله ويحرص على طيب مكسبه ويواظب على الإنفاق في وجوه الخـــير فعاش سعيدا ومات حميدا وترك آثارا بعيدة في النفوس ظهرت في شدة وقع خبر وفاته في الناس واحتشاد أعداد هائلة من البشـــر في توديعه إلى مثواه في البرزخ وطريقه إلى النعيم المقيم.

لقد كان رحمه الله نسيج وحده وطراز نفسه في البذل والعطاء والتواضع وإنكار الذات' وكان يحمل بين جنبيه قلبا حيا نابضـــا بالإيمان متدفقا بالحمية الإسلامية والغيرة الدينية ويملـــك عاطفـــة

جياشة لمناصرة الإسلام من ناحية ولإيصال الخير إلى الفقراء والمعدمين من ناحية أخرى، فكان يعيش رحمه الله هموم المسلمين' يتألم من معاناتهم ويبذل ما في وسعه في رفع الضيم عنهم ويشعر بالسعادة برعاية الأيتام والأرامل وبالفرحة الغامرة بتقديم المساعدة للفقراء والمعدمين والمصابين بالأمراض أو المنكوبين.

تتجلى المعالم البارزة لشخصية السيد عبد الله المطوّع في كافة أعماله واهتماماته يمكن من خلالها تقدير ما قدمه رحمه الله لدينه وعقيدته ولقومه وأمته.

ومن جلائل أعماله رئاسته لجمعية الإصلاح الاجتماعي فقد استطاع من خلالها أن يربي أجيالا متلاحقة من الشباب والبنات بترسيخ الإيمان في نفوسهم وتنشئتهم على الأخلاق والقيم النبيلة وتنقية المجتمع من الشوائب والتقاليد الأجنبية الوافدة المنافية للدين الإسلامي ومبادئه.

كما ان الجمعية قامت بدعم الجمعيات المماثلة على مستوى العالم من خلال لجانها الخيرية ترى آثارها واضحة وتشاهد ثمارها بين الجماعات والشعوب المختلفة.

وخلاصة القول أنه رحمه الله كان أمة لوحده في مجال العمل الخيري فقد قام بدور تكاد تعجز عنها الحكومات فكان إسمه لامعا

في كافة أقطار العالم وآثار إنفاقه في سبيل الله واضحة في الشـــرق وفي الغرب وكان بيته موئلا للوفود الزائرة ومكتبه مرجعا لرؤساء المدارس الدينية ومسئولي الجمعيات الإسلامية على مستوى العـــالم وإلى جانب هذه الأعمال الخيرية وأخـــرى الإغاثيـــة المتواصـــلة والمتنوعة كان رحمه الله يشرف على مجلة "المجتمع" الناطقة باســـم جمعية الإصلاح الاجتماعي المنفردة في اتجاهها الإصلاحي والجريئة في نقد الأفكار المشبوهة والتيارات المعادية للدين فكان يتابعها رغم كثرة أشغاله ويطلع على كل كلمة مكتوبة فيها ويملـــي أحيانـــا افتتاحيات كاملة.

وكان رحمه الله يتمتع بقوة الجنان وحصافة الرأي والشخصية القوية فكان يحضر في المؤتمرات الإسلامية الدوليـــة ويســـاهم في تسديد مواقفها فيحظى باحترام الجميع في الاجتماعـــات المحليـــة والمحافل الدولية.

وبسبب هذه المزايا والسمات البارزة الجليلة يصح أن يقال:

ما كان قـــيس هلكـــه هلـــك واحـــد

ولكنـــــه بنـــــيان قـــوم تهـــــدما

التقيت به أوّل مرة قبل نحو ربع قرن في أول زيارة لي لدولـــة الكويت ثم تكرر اللقاء في مناسبات خاصة وأثبت الاحتكاك معه

-على ندرته- أنه ثاقب النظر' قوى الإيمان وثابت الجنان يصعب تغيير موقفه عن شخص أو جماعة لكنه كان صادقا مع الله ومع نفسه سواء اتفق مع أحد أو اختلف.

ففي تعامله مع آلاف المؤسسات والجمعيات كان قوى الذاكرة' دقيق الملاحظة' واسع القلب' صبورا.

وفي القضايا الدينية والاجتماعية كان ذا غيرة وحمية وإخلاص وحماس.

ومع من يستضيفه في بيته متواضعا شديد الاهتمام بالضيوف كثير الفرح وعظيم الاعتناء بهم.

رأيته عن كثب أثناء مشاركتي المتواضعة في كتابة المقالات للمجتمع أيام رئاسة تحرير الدكتور إسماعيل الشطي كما حضرت اللقاء الذي كان نظمه أبو بدر بمناسبة زيارة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي وكان من المشاركين في الحوار كل من د. حامد الرفاعي و د. عبد الله النفيسي وكان من الحضور فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي أيضا ومرة أو مرتين التقيت به في مكتبه أو بيته مع الشيخ الفقيه مجاهد الإسلام القاسمي وشاء الله أن يكون أبو بدرهو أول وجه كويتي على باب الحرم المكي بعد تحرير الكويت مباشرة من الغزو العراقي الغاشم.

لقد كان لقائنا مع الراحل العظيم في مكة بمناسبة انعقاد الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين في رحاب بيت الله العتيق بدعوة من رابطة العالم الإسلامي في شهر أبريل الماضي.

انطلقنا من الكويت بطائرة الخطوط الجوية السعودية معا حيث كان ضمن أفراد الوفد كل من معالي الشيخ يوسف جاسم الحجي رئيس "الهيئة الخيرة الإسلامية العالمية" والأستاذ طارق العيسى رئيس "جمعية إحياء التراث الإسلامي" وكانت مشاركتي كنائب رئيس "مجمع الفقه الإسلامي بالهند"و أثناء الطريق من جدّه إلى مكة كان كثير السؤال عن بعض الشخصيات الإسلامية في الهند.

فقد عشنا في رحاب الحرم وفي قاعات المؤتمر معا عدة أيام وكان رحمه الله مثالا يحتذي به في النشاط المتواصل والحضور المؤثر والفعال في أعمال المؤتمر والإسهام بالرأي في صياغة القرارات.

كما كان يشاهد بعد صلاة الفجر طائفا حول البيت على "العربانة" بسبب الألم في الظهر أو ملاحقا الفقراء والمتسولين لتقديم المساعدة إليهم قبل أن يسألوه وبعد عودته من رحلة العلاج من ألمانيا حيث أجريت له عملية جراحية رأيت من الواجب أن أزوره في مسجده وأسلم عليه.

وجاء خير وفاته بعد عودته من رحلة الصيف مباشرة فكان له وقع الصاعقة على النفس وهل للإنسان إلا أن يرضى بقضـــاء الله وقدره؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لولا بدائـــــع صنـــــــع الله ما نبـــــتت
تلك الفضائل في لحم ولا عصب

أسأل الله العلي القدير أن يتقبل أعماله الصالحة ويجزيه عـــن الإسلام والمسلمين خيرا وللحديث عن مواقفه فرصة أخرى و**لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا**.

* * *

الشيخ عبد الله العقيل
شخصية دعوية متميزة

الشيخ عبد الله العقيل أحد رواد الحركة الإسلامية المعاصرة، ومن الشخصيات العاملة بصمت فهو يعرف منذ مقتبل حياته بحماس وإخلاص، وحركة ونشاط، وفكر ودعوة، وأثناء دراسته في مصر أو بعد تخرجه مرت فصول محنة الدعوة الإسلامية أمام عينيه وشاهد أحداثاً صنعت التاريخ عن كثب بل هي التي صنعت عقليته، وأثرت في نفسيته فنشأ وهو مدرك خطورة الأمر وموقن بتحقق النصر بإذن الله، ولما استقر به المقام في الكويت قضى نحو ربع قرن من الزمان في دولة الكويت كشخصية محورية لدعم الأنشطة الدعوية في الشرق والغرب، وكان له بالتنسيق مع كل من الشيخ الراحل عبد الله علي المطوع رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي رحمه الله والشيخ يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الإسلامية الأسبق فضل كبير في إنشاء شبكة من مراكز الدعوة والإصلاح في عدد من الدول الأوربية والأفريقية

والآسيوية، وكان على اتصال دائم بالقائمين عليها، شديد الحرص على دعمها ماديا ومعنويا.

"الوقت هو الحياة والواجبات أكثر من الأوقات" على لوحة كبيرة كانت معلقة في مكتبه.

وهي كلمة حكيمة مأثورة عن الإمام حسن البناء كانت تسترعي انتباه زائريه في مكتبه بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

كان مديرا للشئون الإسلامية في الوزارة لكنه كان أقوى أثرا وأعظم نفوذا من أي مدير أو وكيل وذلك لقوة شخصيته وصلابة موقفه.

تعرفت عليه في الكويت في أول زيارة لي حينما كنت أرأس تحرير جريدة "الداعي" وأدرّس في جامعة ديو بند الإسلامية بالهند، وأنا في عنفوان شبابي جئت لأوجه الدعوة إلى بعض الشخصيات البارزة لحضور مناسبة الاحتفال بمرور ١٥٠ عاما على نشأة الجامعة،وهي الجامعة التي كتب عنها العلامة رشيد رضا في مجلة "المنار" أنها تستحق أن تلقب "بأزهر الهند".

وتم تشكيل الوفد الكويتي برئاسة الشيخ يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الإسلامية آنذاك، وضم الوفد كلا

من الشيخ عبد الله العقيل والسيد فيصل المقهوي مدير مكتب معالي الوزير، وكنت على رأس المستقبلين عند سلم الطائرة في مطار نيو دلهي، وتم حجز ثلاث غرف في فندق "أشوكا" في دلهي فدعاني الشيخ عبد الله العقيل وطلب إلغاء حجز غرفة واحدة والاكتفاء بغرفتين توفيرا للنفقة على الجامعة.

وكان الاحتفال يوما مشهودا، فاق عدد الحضور مليون نسمة، وكانت الخيام نصبت في الحقول المجاورة لبلدة صغيرة غير مهيأة لاستقبال هذا العدد الكبير من الناس، فكان يُرى سيل من البشر مد البصر في كل اتجاه، وصعب التنقل في شوارع البلدة، وسككها الضيقة حتى قال لي أبو مصطفى: إني عشت في مصر وزرت أماكن كثيرة ولكن لم أر تهافت عامة الناس وصلة جماهيرهم العاطفية بجامعة دينية علمية بهذا الشكل ويرجع ذلك إلى إخلاص مؤسسيها.

وقد شارك في الاجتماع شخصيات كبيرة وكثيرة، ووفود رسمية عديدة، فعلى رأس وفد المملكة العربية السعودية كان معالي الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية آنذاك وأمين رابطة العالم الإسلامي حاليا إلى جانب نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الشيخ

الدكتور عبد الله الزائد ووفود رابطة العالم الإسلامي وإدارات البحوث العلمية والإفتاء، والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، ومفتي الجمهورية السورية الشيخ أحمد كفتارو والشيخ أحمد الخليلي مفتي عام سلطنة عمان وغيرهم.

وكان وفد مصر برئاسة وزير الأوقاف الأسبق الدكتور عبد المنعم النمر ويضم كلا من المقرئ الأبرز الشيخ عبد الباسط عبد الصمد والدكتور عبد المعطي البيومي، وكنت في وضع لا يحسد عليه في التعامل مع وفد مصر لمكانة مصر في قلوب المسئولين وباعتبار الدكتور عبد المنعم النمر أحد أساتذة الجامعة سابقا ضمن البعثة الأزهرية من ناحية حيث مكث في ديو بند عامين وألّف ثلاثة كتب عن تاريخ الهند، وكفاح المسلمين في الهند والزعيم العملاق أبي الكلام آزاد، وظروف المقاطعة العربية من ناحية ثانية بسبب زيارة الرئيس محمد أنور السادات للقدس، فقاطع الضيوف العرب احتجاجا و لم يرضوا الجلوس على المنصة أثناء إلقاء كلمة وفد مصر بل إن أحد الشيوخ الفلسطينيين استخدم كلمة نابية لا يمكن نقلها وشعرت بإحراج شديد لأني كنت أقدم الضيوف وأترجم ما يحتاج إلى الترجمة، وكان الشيخ عبد الله العقيل مثالا للتواضع وإنكار الذات طوال بقائه في الهند.

وبعد فترة شاء الله أن أكون في الكويت فوجدته شعلة من النشاط داخل الوزارة وخارجها، وكان بيته في منطقة المنصورية ملتقى للوفود الزائرة من كافة أنحاء العالم في نهاية كل أسبوع، وقد تشرفت في إلقاء الكلمة في تلك الديوانية مرة أو مرتين كما حضرت يوم زيارة الشيخ الداعية أبي الحسن علي الندوي وحديثه عن الإخوان المسلمين وعن تجربته في مجال الفكر والدعوة.

إن أبا مصطفى قد رضع بلبان الدعوة والحركة فهو دائم الذكر والإشادة بالتضحيات والبطولات لرجال صنعوا التاريخ {فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر}.

وإن كتابه من "أعلام الدعوة" كتاب حافل بأحداث ووقائع عايشها الشيخ عبد الله العقيل وتراجم شخصيات عاصرها فهو مرآة صادقة لعشرات من أعلام العصر الذين قاموا بأعمال جليلة أو قدموا تضحيات جسيمة أو جمعوا بين الحسنيين وهو خير دليل على حبه ووفائه لأعلام عصره من رجال الدعوة والفكر على مستوى العالم.

فإنه موسوعة تلقي الضوء على حياة عظماء الدعوة من ناحية، وتبين مدى مشاركة الشيخ عبد الله العقيل في مسيرة الدعوة منذ أكثر من نصف قرن فحفظه الله ورعاه.

ولقد زرته في مكتبه بعد مغادرته الكويت وهو على منصب الأمين المساعد في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، كما تتكرر زيارته للكويت للمشاركة في اجتماعات الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية وهو أحد مؤسسيها، وفي مكة المكرمة تم تكريمه بمناسبة مرور خمسين عاما على إنشاء رابطة العالم الإسلامي فاستلم الدرع نجله مصطفى نيابة عنه، كما تم تكريمه في مصر.

إن الشخصية إذا كانت بهذا الحجم وبهذا العطاء تستحق كل تقدير وإن مركز الإعلام العربي يستحق الإشادة والتنويه على القيام بهذه المهمة، نيابة عن كافة وجهاء الأمة.

وله مواقف كثيرة تدل على غيرته على الدين وحماسه لنشر الدعوة، واهتمامه بقضايا الإسلام والمسلمين في كافة أنحاء العالم، وهو شديد الحب لمؤسس الحركة، كثير الإشادة بأعلامها يحفظ صفحات من بعض كتب الشيخ محمد الغزالي، أرجو له الصحة والعافية ودوام التوفيق.

* * *

الفقيهة الحسناء فاطمة السمرقندية

كان الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية، أو بين إيران وتوران هو نهر جيحون فبدأ العرب يطلقون على البلاد الواقعة وراء النهر (من جانب الشمال) بلاد ما وراء النهر.

ويمكن تقسيم بلاد ما وراء النهر إلى خمسة أقاليم:

١. اقليم الصغد.

٢. اقليم خوارزم، ويعرف باقليم خيوه ويشمل على دلتا نهر جيحون.

٣. اقليم الصغانيان وتقع فيها بدخشان.

٤. اقليم فرغانه في أعلى نهر سيحون.

٥. اقليم الشاش وهو يعرف اليوم باقليم طشقند.

ومن أهم مناطق اقليم الصغد: بخارى، وسمرقند وقد شهدت هذه المنطقة حضارة وتقدما قبل مجئ الإسلام وتحولت بعده إلى مركز للعلم ومنبع للفقه وعلم الحديث.

سمرقند جنة الدنيا وحاضرة الإسلام:

كانت بلاد ما وراء النهر وخراسان حاضرة الإسلام ومركز

إشعاع إسلامي في عهد الدولة السامانية يقول المقدسي متحدثاً عن بلاد ما وراء النهر:

(من أجل الاقاليم وأكثرها أجلة وعلماء معدن الخير ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم، يبلغ فيه الفقهاء درجة الملوك[1].

ويقول ابن الأثير:

إن الملوك أنفسهم (في تلك البلاد) كانوا يحبون العلم والتعلم وكانوا أحسن الملوك سيرة يرجعون إلى عدل ودين وعلم فمنهم أحمد بن ساسان روي الحدث عن ابن عيينه، ويزيد بن هارون وغيرهما وروى عنه ابنه إسماعيل[2].

أما مدينة سمرقند التي كانت عاصمة اقليم الصغد وكانت تقع على مرتفع تنصب إليها الجداول من نهر زرافشان أو النهر الذهبي فكانت من أجمل المدن جمالاً وازدهاراً فكانت توصف بجنة الدنيا وموطناً للعلم والعلماء يقصد إليها العلماء والفقهاء ورجال التقوى والصلاح من كل أنحاء العالم.

قيل: إن الذي بنى هذه المدينة العظيمة هو ذو القرنين، وقيل:

---

[1] أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم.

[2] اللباب: ٩٤/٢.

الاسكندر المقدوني، وقيل: ملك الصين، وأيا كان الأمر فهي مدينة بالغة القدم والعراقة والإصالة كانت مزدهرة قبل الإسلام وأصبحت مركز إشعاع ثقافي وديني بعدما استنارت ربوعها بنور الإسلام.

وكانت جيوش المسلمين قد فتحت سمرقند عام ٥٦هـ في عصر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وكان على رأس الكتيبة سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه واستشهد في المعركة قثم ابن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وقام أهل سمرقند ببناء مشهد ضخم على قبره يسمى مزار شاه زنده (ضريح السلطان الحي)، وأعاد فتح المدينة قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٨٧هـ.

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان بعد وصف رائع لمدينة سمرقند:

وقالو: ليس في الأرض مدينة أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفاً من سمرقند[١].

ويقول النسفي: كانت البساتين تشغل شطراً كبيراً من مدينة سمرقند وكان كل مدينة يضم بستاناً وكان الناظر إلى المدينة من القلعة لا يستطيع رؤية مبانيها لاستتارها بالأشجار وقد ألف أبو حفص عمر بن محمد النسفي كتاباً باسم: القند في إخبار سمرقند.

---

[١] معجم البلدان: ٣/٢٨٠.

هذه هي المدينة الجميلة الزاهرة المزدهرة التي أنجبت مئات من النوابغ والإعلام في الفقه والحديث والطب واللغة والأدب ومن أبرز علماء سمرقند وأدباءها: المحدث محمد بن عدي السمرقندي، وأبو الليث نصر بن محمد السمرقندي الملقب بإمام الهدى، وأبو منصور محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، والإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي صاحب السنن والفقيه علاء الدين السمرقندي مؤلف تحفة الفقهاء، وابنته الفاضلة فاطمة السمرقندي ومحمد بن يمان السمرقندي وآخرون.

تربة المحمديين:

هل تصدق أن قرية واحدة من قرى سمرقند تسمى بباكرديز دفن فيها نحو أربعة مائة عالم من فقهاء الحنفية يسمى كل واحد منهم بـــ محمد بن محمد (وهم من اشتهروا بالتصنيف والتأليف وكثرة من لازمه من التلاميذ؟ حتى سميت المقبرة الخاصة بهم بتربة المحمديين[1]؟

فإذا نبغ في قرية صغيرة أربعمائة فقيه يحمل كل واحد منهم

[1] راجع الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية للقرشي: ٥٥٤/٢، ومناقب الإمام أبي حنيفة للبزار.

اسم محمد بن محمد فكم يكون ياترى عدد العلماء من المحدثين والمفسرين أو المتخصصين في الطب والمنطق والعلوم الأخرى المتداولة في تلك الفترة من تاريخ الإسلام؟

ثم كم يكون عدد العلماء في كافة بلاد ما وراء النهر وخاصة في سمرقند وما جاورها من المدن والقرى؟

فقه الإمام أبي حنيفة النعمان:

لقد انتشر مذهب الإمام أبي حنيفة في أنحاء الأرض فهو أوسع المذاهب الفقهية انتشاراً وأكثرها اتباعاً يلتزم به المسلمون في الهند وباكستان والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، وتركيا وأفغانستان كما يوجد في سوريا ومصر والجزائر والعراق اتباع هذا المذهب وظل مذهب الدولة في العصر العباسي وزمن الملوك السلجوقيون والخوارزميين وظل مذهب الدولة في عصر العثمانيين الأتراك طوال فترة حكم الخلافة وفي جميع الأقطار الخاضعة للحكم العثماني.

ومن ناحية ثانية كان المذهب الحنفي من أكثر المذاهب الفقهية خصوبة في تراثه الفقهي، فقد حظى هذا المذهب بوفرة من المؤلفات الفقهية وبعناية من العلماء والفقهاء النابهين.

وقد نبغ عدد كبير من الفقهاء الأحناف في بلاد ماوراء النهر واقليم خراسان وبلخ وغيرها من المناطق التي ينتمي إليها معظم النوابغ والإعلام في الحديث والتفسير والفقه والعلوم النفسية والطبية الذين يعتبرون رموزاً للحضارة الإسلامية وآيات لخصومة الأمة الإسلامية.

إن تاريخ بلاد ما وراء النهر يزخر بأسماء لامعة في كافة العلوم والمعارف يقول العلامة المؤرخ ابن خلدون في مقدمته الشهيرة:

(أما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه، بل بقيت أسواقه نافقة وبحواره زاخرة، لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه، وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة إلا أن الله تعالى قد أدال منها بأمصار أعظم من تلك وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر[1].

دور علماء العجم في حفظ العلم وتدوينه:

لقد كان لبلاد العجم وخاصة فارس، وخراسان، واقليم ما وراء النهر حظ أوفر حيث أن أغلب علماء الإسلام وفقهائه ومحدثيه

[1] مقدمة ابن خلدون: ٣٤٣.

وفلاسفته وأطبائه كانوا من الأعاجم وقد ظهرت بذلك معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحقق ما قاله مخاطباً لسلمان الفارسي رضي الله عنه: (لو كان العلم بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء).

يقول الإمام النووي:

(خراسان العظيم المعروف موطن الكثير إلا كثر من علماء المسلمين) ويقول العلامة ابن خلدون معرباً عن استغرابه ودهشته:

(من الغريب الواقع أن حملة العلم من الملة الإسلامية أكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا العلوم العقلية إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها عربي والسبب في ذلك أن الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة.

ثم يقول بعد تحليل الأمر الواقع وبيان أسلوبه:

فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج وكلهم عجم في أنسابهم وإنما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربي ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفناً لمن بعدهم وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم مستعجمون باللغة والمربى، وكان علماء أصول الفقه كلهم عجماً

وكذا حملة علم الكلام وأكثر المفسرين، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (لو تعلق العلم بأكناف السماء لناله قوم من أهل فارس[1].

فقيهه حسناء:

يقول المؤرخون أن فاطمة بنت محمد السمرقندي كانت حسناء بارعة الجمال وإن جماعة من أبناء ملوك بلاد الروم طلبوا يدها من والدها وأرادوا أن يتزوجوها لشهرتها في الجمال إلى جانب نبوغها في العلم والأدب وحسن الخط إلا أن أباها الفقيه الزاهد لم يستجب لأحد إلى أن قيض الله تلميذاً نابغة وهو علاء الدين أبوبكر الكاساني الذي لزم والدها وتفقه لديه وبرع في علوم الأصول والفروع وصنف كتاباً بديعاً وهو كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وهو عبارة عن شرح لكتاب تحفة الفقهاء الذي ألفه أبوها وعرضه على شيخه فازداد فرحاً به وزوّجه ابنته وجعل مهرها هذه الموسوعة الفقهية النادرة حتى بدأ الفقهاء يقولون عنه: (حفظ تحفته وتزوج ابنته).

---

[1] مقدمة بن خلدون ص: ٤٥-٤٥٣. نص الحديث عنه الترمذي: لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء، ويراجع كشف الخفاء للعجلوني وفيض القدير للمناوي.

المرأة في الإسلام:

لم ينتقص الإسلام من حق المرأة لحساب الرجل بل فتح لها آفاقاً واسعة للتقدم والرقى وأكد أن النساء شقائق الرجال، واعترف بوضوح: (لهن مثل الذي عليهن).

فكان من نساء الصحابة ورجال السلف من بلغن مكانة عظيمة في العلم والفقه ورواية الحديث.

إن السمو الأخلاقي والنبوغ في العلم والقيام بالعمل الصالح لا يختص بالرجل يقول الله سبحانه: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينتهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)[1].

ويقول: "ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا"[2].

وفي فجر العهد الإسلامي قد شاركت النساء مع الرجال في تحمل عدد من المسؤوليات فكانت السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها تسقى الجرحى من جنود المسلمين بالقربة، ويروي الطبري أن النساء في بعض الغزوات كن يقمن بتجهيز الشهداء.

---

[1] النحل: ٩٧.

[2] النساء: ١٢٤.

يقول أحد المؤرخين الإنكليز معلقاً على دور المرأة المسلمة في بعض الغزوات والمعارك في بلاد الشام: لقد كان هذا الجيش من الجنس الناعم جديراً بالإجلال والتقدير كانت المسلمات ماهرات في ضرب السيف واستعمال الرماح، ورمي السهام، واستطعن بتلك الخلال أن يحافظن على عفافهن في ظرف دقيق وموقف حرج.

وليست فاطمة السمرقندية العالمة المحدثة الفقهية إلا دليلة حيا على سمو تعاليم الإسلام، ومكانة المراءة في ظل الإسلام.

مجمع الفقه المنـــزلي:

لم يشهد تاريخ العلم والعلماء مثل هذا المثلث العلمي الفريد والمجمع الفقهي المنـــزلي يجتمع في عضويته رجلان وامرأة من أسرة واحدة وبيت واحد وكل منهم من نوابغ العلم ونوادر الأيام.

الأب: عالم فقيه زاهد رئيس أهل السنة في عصره وبلده ومؤلف كتاب تحفة الفقهاء.

والبنت: فقيهة ومحدثة، تفتي وتدرس العلوم الشرعية، وتؤلف الكتب وتنبه على أخطاء الرجال في الفقه والحديث.

زوج البنت: ملك العلماء وإمام عظيم مؤلف موسوعة فقهية نادرة المثال.

هذا المجمع الفقهي المنـــزلي قد ترك آثاره في تاريخ الفقه الإسلامي جلية واضحة وإن الفقهاء مدينون لهذا البيت العلمي على مر العصور والأجيال فما زال كتاب تحفة الفقهاء يدرس في الجامعات ويرجع إليه الباحثون في الفقه والأصول.

وما زال كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع معيناً عذباً منهلاً متدفقاً لرواد الفقه وكم من الكتب والموسوعات الفقهية قد دونت من المادة الفقهية التي جمعها الكاساني؟ وكم من الفقهاء الذين تخرجوا في مدرسة الكاساني المتفردة في الفقه والأصول؟

فرغم مرور عدة قرون لم يزل الكاساني ملك العلماء وما زال كتابه مرجعاً للعلماء والفقهاء والأصوليين.

امرأة فاقت الرجل:

يذكر تاريخ الفقه الحنفي اسم امرأة فاقت الرجال في الفهم والذكاء ويصفها المؤرخون بالعالمة الفاضلة والفقيهة المحدثة ذات خط جميل تعرف بفاطمة السمرقندية.

فهي كانت محدثة تروي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليم الرجال والنساء كتب الصحاح من السنن والمسانيد وتمنحهم إجازات علمية.

وكانت فقيهة فاضلة تحفظ مذاهب العلماء وتنقلها بدقة وإتقان يخطئ زوجها الإمام الكاساني فتنبهها على الأخطاء فيأخذ قولها ويرجع إلى ما ذهبت إليها.

وكانت مدرسة تدرس الفقه والحديث بل كانت هي تتصدر في التعليم وتفوق أقرانها.

وكانت ذات رأي سديد يرجع إليها الملك العادل نور الدين الشهيد عام ٥٦٩هـ فيستشيرها في القضايا المهمة ويسألها المسائل الفقهية فهي كانت بمثابة مستشارة في الشؤون الدينية وكان الملك يبالغ في إكرامها لما كانت تتمتع بها من نباهة وذكاء وفقه وصلاح.

وكانت مؤلفة بارعة في التأليف تركت مجموعة من الكتب في الفقه والحديث يذكرها العلماء بتقدير وإجلال لا ندري أضاعت تلك الثروة العلمية الثمينة على أيدي قراصنة الحضارات ولصوص الثقافات؟ أم ما زالت بعضاً منها مغمورة بين نوادر المخطوطات في مكتبات أوربا وآسيا ولم تكن هذه المرأة الفاضلة بنت الإمام الفقيه وزوجة العالم الأصولي المجتهد فحسب بل كانت هي نفسها فقيهة وعالمة تفتي في القضايا الفقهية فكانت تخرج الفتوى من بينها بتوقيع أبيها وبتوقيعها فلما تزوجت بالإمام الكاساني فأصبحت

هيئة الإفتاء تتكون منها ومن أبيها وزوجها فما كانت تخرج الفتوى إلا بخط الثلاثة وبتوقيع كل من الأب والزوج والبنت هذه هي الفقيهة البارعة فاطمة بنت محمد السمرقندية ما زالت حياتها قدوة للجنس اللطيف ورمزاً لمكانة المرأة العظيمة في ظل تعاليم الإسلام السمحة وكم للإسلام من أيادي بيضاء في مناصرة المرأة وإنقاذها من الظلم والجهل؟

والدها: علاء الدين السمرقندي:

ولدت هذه النابغة الجليلة والفقيهة البارعى التي اشتهرت بدقة نظرها وسعة اطلاعها ونباهة فهمها وقوة اجتهادها في بيت عالم جليل، وإمام عظيم من الفقهاء النابهين الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ العلم والفقه وسير حركة الاستنباط والاجتهاد وازدانت بجهودهم وإنتاجاتهم المكتبة العلمية الإسلامية العامرة.

فقد كان والد هذه الفتاة العبقرية هو الإمام العلامة الفقيه محمد بن أبي بكر علاء الدين السمرقندي مؤلف كتاب (تحفة الفقهاء) وهو كتاب يحظى بقبول بين الفقهاء وظل منذ قرون بين كتب المنهج الدراسي كما أن شرحه للكاساني خلد الكتاب كمرجع أساسي وكتاب يستند إليه كل عالم وفقيه.

تفقه السمرقندي على الإمام أبي المعين المكحولي وصدر

الإسلام أبي اليسر البزدوي، واستفاد منه خلق كثير وعلى رأسهم مؤلف بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (تلك الموسوعة الفقهية الفريدة التي لم يؤلف مثلها في الفقه الحنفي) وكان السمرقندي قد زاد في تحفة الفقهاء على متن القدوري ورتبها ترتيباً حسناً ومات عام ٥٥٢هـ. وقد ورد في كتاب الأنساب للسمعاني أنه مات ببخارى وقيل إنه مات سنة ٥٣٩هـ.

كان السمرقندي تلميذاً لكل من الإمام البزدوي والإمام أبي المعين المكحولي والإمام أبي منصور الماتريدي، وأبي بكر الجوزجاني أما تلاميذه فمن أشهرهم محمد بن الحسين البدنيجي أستاذ صاحب الهداية، وابنته الفقهية الفاضلة فاطمة، والإمام أبو بكر الكاساني زوج ابنته وشارح تحفته.

وكان السمرقندي إماماً في الفقه والأصول وقد ترك مؤلفات عديدة تدل على مكانته العظيمة في كافة العلوم الشرعية والعقلية.

فقد ألف تحفة الفقهاء كما ألف شرح كتاب التأويلات للماتريدي ومختلف الرواية، وميزان الأصول في نتائج العقول وشرح الجامع الكبير وألف كتباً باسم المبسوط والزيادات وشرح الطحاوي.

غير أن كتابه الذي خلد ذكره هو تحفة الفقهاء يقول عنها أهل العلم أنه لا يوجد له مثيل بين كتب الفقه الإسلامي المعروفة

فهي ليست موجزاً إيجازاً شديداً كمختصر الطحاوي، ومختصر القدوري وبداية المرغيناني وكتر الدقائق للنسفي وتنوير الأبصار للتمرتاشي وليست مطولة جداً كمبسوط السرخسي، والمحيط البرهاني أو البدائع للكاساني وهو كتاب في جزء واحد سهل العبارة قريب المنال ويمتاز بالتقسيم والترتيب.

فهو على تعبير الدكتور زكي عبد البر: (كتاب علمي عملي وسط سهل مترتب).

وكفاه فخراً أن تصبح بنته فاطمة فقيهة بحفظ (التحفة) ويلقب زوج بنته بملك العلماء بشرحه للتحفة وصلة الكتاب ببدائع الكاساني معروفة مشهورة حتى جرى على لسان أهل الفقه كلاماً بليغاً: (شرح تحفته وتزوج ابنته).

يقول الإمام الكاساني:

(وقد كثر تصانيف مشايخنا في هذا الفن قديماً وحديثاً وكلهم أفادوا وأجادوا غير أنهم لم يصرفوا العناية إلى الترتيب في ذلك سوى أستاذي وارث السنة ومورثها الشيخ الإمام الزاهد علاء الدين رئيس علاء الدين رئيس أهل السنة محمد بن أحمد بن أحمد السمرقندي رحمه الله تعالى فاقتديت به فاهتديت[1].

---

[1] بدائع الصنائع: ٢/١.

فالتحفة لها مكانة كبيرة وهي حلقة هامة بين كتب الفقه الإسلامي لقد كان السمرقندي شامة بين العلماء بعلمه وورعه وسماته الشخصية التي خصه الله بها.

ومن أبرزها:

(أ) الزهد واتباع السنة فيوصف بالإمام الزاهد وارث السنة ومورثها.

(ب) غنى النفس والاعتماد على الله: فقد رفض أن يزوج ابنته العالمة الفقيهة نادرة العصر بأبناء الملوك وزوجها بطالب فقير تميز بالتفقه في الدين وجعل كتابه مهراً لابنته ولا يعمل هذا إلا من يكون من ذوي النفوس العالية والإيمان العميق والحب الشديد للعلم مع الزهد الحقيقي والنـــزاهة في السلوك.

(ج) التواضع: كانت الفتاوى تصدر من بيته وهي تحمل توقيع ابنته وزوجها الذي كان من أرشد تلاميذه وهذا يدل على إنكار الذات والإخلاص.

زوجها: ملك العلماء الإمام الكاساني:

لم يشهد تاريخ العلم والعلماء مثل هذا المثلث العلمي الفريد بين العباقرة والنوابغ حيث يكون الأب فقيهاً بارزاً وعلماً من أعلام الفقه والتشريع والبنت تكون فقيهة بارزة يرجع إليها العلماء لحل

العضلات الفقهية وتصحيح الأخطاء الفنية والزوج يكون نابغة في الفقه والأصول وإماماً من أئمة التخريج والاستنباط يثري المكتبة الإسلامية بكتاب عظيم مثل كتاب بدائع في ترتيب الشرائع.

فكان زوجها هو أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني ملك العلماء علاء الدين الحنفي نابغة في الفقه وإمام عظيم القدر.

لقد تفقه على الشيخ الإمام محمد بن أبي أحمد السمرقندي الملقب بعلاء الدين أيضاً وقرأ عليه معظم تصانيفه من بينها تحفة الفقهاء.

وبعد ما ألف كتابه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وعرضه على أستاذه السمرقندي فأعجب به وبالغ في مدحه وزوّجه ابنته الفقيهة وجعل كتاب البدائع مهراً لها فجرى على لسان فقهاء عصره كان شرح تحفته وتزوج ابنته وكان أبوها قد رفض أن يزوج ابنته أبناء ملوك الروم وكان قد أرسل في مهمة دبلوماسية من ملك الروم إلى السلطان نور الدين محمود بحلب في بلاد الشام وكان قد وقع الاختيار عليه بسبب براعته في الفقه وقوة حجته وسرعة خاطره.

وقد لقي في حلب ترحيباً فلما تولى الحلاوية من قبل السلطان فكان الفقهاء يفرشون له السجادة ويجلسون حولها قبل أن يأتي الإمام الكاساني ويجلس في وسط الحلقة ويفيض من علمه.

لقد عاش الكاساني حياة حافلة بالعلم والزهد وبذل أنفاسه

الطاهرة في أرساء دعائم الشريعة الإسلامية فرزقه الله موتاً يغبط به الصالحون.

يقول ابن العديم:

سمعت ضياء الدين محمد بن حبش الحنفي يقول:

حضرت الكاساني عند موته فشرع في سورة إبراهيم حتى إذا انتهى إلى قوله تعالى:

(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) خرجت روحه عند فراغه من قوله وفي الآخرة.

وقد مات رحمه الله اليوم العاشر من شهر رجب من سنة ٥٨٧هـ وقد دفن عند قبر زوجته الفاضلة السمرقندية داخل مقام إبراهيم الخليل بظاهر حلب وكان الإمام الكاساني كما جاء في شعره كتبه على إحدى نسخ كتابه البدائع بخط يده:

سبقت العالمين إلى المعالي بصائب فكرة وعلو همة ولاح بحكمتي نور الهدى في ليال بالضلالة مد لهمة يريد الجاحدون ليطفئوه فيأبى الله إلا أن يتمه.

فرحمه الله رحمة واسعة وأسبغ عليه وعلى زوجته الفاضلة وأبيها العظيم سحائب رحمته ورضوانه.

المحتويات

العنوان	الصفحة
الأعمال التجديدية للإمام الرباني مجدد الألف الثاني أحمد بن عبد الأحد السرهندي	٥
العَـــلامة المحدِّث عَبدُ الفَتَّاح أَبُو غُدَّة رحمه الله	٣٢
العلامة الفقيه د. مصطفى أحمد الزرقا	×
الشيخ عبد الله علي المطوّع شخصـــية إسلاميـــة خيـــــرية موهـــوبـــة	٦٣
الشيخ عبد الله العقيل – شخصية دعوية متميزة	٧٢
الداعية والمفكر سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوي	×
حكيم الإسلام العلامة محمد طيب القاسمي	×
سماحة المفتي الشيخ عتيق الرحمن العثماني	×
المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني	×
الشيخ عطية محمد صفر	×

الشيخ الأديب علي الطنطاوي	×
الشاعر عمر بهاء الأميري	×
الفقيهة الفاضلة السيدة فاطمة السمرقندي	٧٨